

الامام السجاد عليه السلام

قدوة و أسوة

محمد تقي المدرسي

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام السجاد عليه‌السلام قدوة و أسوة

كاتب:

محمد تقی المدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین علیه‌السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامام السجاد علیه‌السلام قدوهٔ و أسوهٔ

اشارهٔ

سرشناسه : مدرسی، محمد تقی، ۱۹۴۵- م.

Mudarrisi, Muhammad Taqi

عنوان و نام پدیدآور : الامام السجاد علیه‌السلام قدوه و اسوه/محمدتقی المدرسی .

مشخصات نشر : تهران: دارالمحبی الحسین علیه السلام، ۱۳۸۸.

مشخصات ظاهری : ۸۸ ص.؛م.س. ۱۱/۵ X ۱۶/۵

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۴۲۷-۰۹۰۱

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ قبلی: مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۹.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق.

رده بندی کنگره : BP۴۳/م۴الف۸ ۱۳۸۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۴

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۵۰۸۸۰

تمهید

وأنا أقرأ حیاهٔ الإمام السجاد (ع)، حاولت أن أرسم فی ذهنی صورهٔ متکاملهٔ عن شخصیته وما کدت أنتهی من ذلک حتی تذکرت آیات الذِّکر التی ترسم صورهٔ عباد الله الصالحین. عندما نتدبر فی تلک الآیات، یوسوس الشیطان فی أنفسنا. هل إنها تحدِّثنا عن بشر أمثالنا أم عن ملائکهٔ خُلقوا من نور قدرهٔ الله؟. أم أنها روائع أدبیهٔ؟. حاشا لله تعالی أن تکون فی کلمات الله ذرهٔ من المبالغهٔ. أولیست المبالغهٔ کذباً؟. والکذب من الباطل الذی لا یأتی کتاب الله الکریم. ونحن نعرف الحقیقهٔ تماماً حینما نتلو قصص الأنبیاء والأئمهٔ وندرک أن تمثیل تلک الصورهٔ المشرقهٔ التی تعکسها الآیات عن حیاهٔ عباد الله الأبرار أنه حقیقهٔ واقعهٔ، ونَفهم أننا مدعوُّون لاتِّباعهم فیها.. وبهذا بالذات تکمن حکمهٔ الولایهٔ حیث أمرنا الله أن نبتغی الوسیلهٔ إلیه سبحانه عبر ولایهٔ أولیائه. وأن نطلب منه الهدی کما هدی الذین أنعم علیهم، وأن نرکع مع الراکعین. ونکون مع الصادقین، ونرجو الإلتحاق برکب الصالحین. إن ولایهٔ أولیاء الله تجعلنا نتلمس سیرهٔ حیاتهم النیِّرهٔ، وحین نتعرف عن کثب علیهم نتحصن ضد وساوس الشیطان الذی یوحی إلی أولیائه أن تمثیل صفات القرآن هذه مستحیل، أو أنها إنما ذُکرت تشجیعاً، أو هی روائع أدبیهٔ بلیغهٔ. إن هذا الوسواس أعظم مکائد الشیطان فی إغواء البشر عن معارج الکمال الإلهی.. ولا یقضی علیه شیء مثل دراسهٔ حیاهٔ الأنبیاء والأئمهٔ والصدِّیقین باعتبارهم بشراً أمثالنا أنعم الله تعالی علیهم ورفعهم إلیه مقاماً محموداً. ومنذ ثلاث وعشرین عاماً أنعم الله علیّ بالتألیف عن حیاهٔ الأئمهٔ الهداهٔ، عبر مناسبات نادرهٔ. لذلک لم أُوفق لإکمال سلسلهٔ قدوهٔ وأسوهٔ.. حول النبی وأهل بیته الکرام صلوات الله علیهم أجمعین. والیوم حیث وفقنی الله سبحانه لکتابهٔ تدبُّراتی فی القرآن، والتی سمیتها (من هدی القرآن) أعود إلی هذه السلسلهٔ عسی الله تعالی أن یوفقنی هذه المرهٔ لإتمامها. ولکن کنت أتساءل: ماذا أسمِّی هذه السلسلهٔ التی بقی منها أربعهٔ أجزاء من أصل أربعهٔ عشر جزءاً. وأخیراً وقعت علی اسم مناسب وهو: (النبی

وأهل بیته قـدوهٔ واسوهٔ). وحیث إن القرآن هـدی للمتقین، وحیاهٔ الأئمهٔ تمثیل للقرآن فقد جاء الاسم مناسـباً لذلک، کما أنه تناغم مع اسم کتـابی (من هـدی القرآن) ولکن ازدادت حیرتی عنـدما وقفت علی شاطئ بحر زخار ماذا اغترف منه وأقـدمه للأخوهٔ القرَّاء، وقد کتبت من المـذکرات حول حیاهٔ الإمام (ع) ما تکفی لکتابـهٔ مجلـد کبیر. بید أنی حکمت علی نفسـی بالکتابهٔ المختصـرهٔ، وهنا یکمن سبب حیرتی ماذا أختار من حیاته التی لا یتسع قلم مثلی لاستیعابها. وهکذا أسـتمیحکم عذراً لو وجدتم قصوراً أو تقصـیراً واسـعَین فی الحـدیث عن حیاته الکریمـهٔ، واعتبروا هـذه الـدفاتر مـدخلًا إلی الکتب المفصـلهٔ عن حیاته. وأسأل الله تعالی أن یوفقنی لـذلک، وأن یحفظ عملی من شوائب الریاء والسمعهٔ والأشر والبطر، ویتقبله ویحصنه من الإحباط بالعُجب والذنب، إنه ولی التوفیق.

لمحهٔ عن الإمام

اشاره

تتملَّکنا الدهشـهٔ عنـدما نسـتمع إلی الوحی یأمرنا بالولایـهٔ، ونتساءل: ما هـذا التأکیـد المتواصل، وما هـذه التعابیر البالغهٔ أمراً وتحریضـاً وترغیبـاً؟. یقـول الله سـبحانه: [أَطِیعُوا الله وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَاُولِی الأَـمْرِ مِنْکُمْ] (النسـاء/۵۹). وتتکرر أوامر القرآن بالطاعـهٔ لأولی الأـمر الشـرعیین والتسـلیم لأمرهم، والنهی عن طاعـهٔ الطغاهٔ والجبابرهٔ وضـرورهٔ الکفر بهم أکثر من مئـهٔ مرهٔ، بصـیغ مختلفهٔ، وضـمن سـیاقات شتی، کلها تهدف إلی ترویض النفس البشـریهٔ علی الطاعهٔ والانضباط.. ویقول سبحانه وتعالی: [فَلاَ وَرَبِّکَ لاَ یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیمَا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاَ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَیُسَلِّمُوا تَسْلِیماً] (النساء/۶۵) وتتواصل آیات الذکر لتؤکد علی الرجوع إلی الله ورسـوله عشـرات المرات وبتعـابیر شـتی: [أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یَزْعُمُـونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَـآ أُنْزِلَ إِلَیْـکَ وَمَـآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِـکَ یُرِیـدُونَ أن یَتَحَاکَمُوا إِلَی الطَّاغُوتِ وَقَدْ اُمِرُوا أن یَکْفُرُوا بِهِ وَیُرِیدُ الشَّیْطَانُ أن یُضِـلَّهُمْ ضَـلالًا بَعِیداً] (النساء/۶۰). وهکذا العدید من الآیات تنهی وبشـدهٔ بالغـهٔ من التحـاکم إلی الطـاغوت وتـأمر باجتنابه. ویقول ربُّنا سـبحانه وهو ینهی مئات المرات عن الشـرک ویعتبره ظلماً عظیماً لا۔یغفره الله تعالی أبـداً، یقول: [وَلَقَـدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَإِلَی الَّذِینَ مِن قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْـرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ] (الزمر/۶۵). فما هو الشرک؟ ألیس هو عبادهٔ الأصـنام؟ ألیس أتخاذ الأرباب من دون الله شـرکاً، کما اتخـذ الیهود والنصاری الأحبار والرهبان أرباباً؟.. وهکـذا نجد أن الولایـهٔ الإلهیـهٔ محور آیات الـذکر وروح توحید الله تعالی، والسبیل إلی رضوانه، والطریق إلی جنَّاته. فلماذا کل ذلک؟. إن شـرح حکمهٔ ذلک یقتضـی کتباً مفصلهٔ. ولکننا نختصرها فی کلمات نرجو أن یسعفنا فیها تدبُّر القارئ الکریم، وآفاق ثقافته الإسلامیهٔ. أولاً: أمام الإنسان سبیلان: سبیل الله الـذی یهدیه إلی الجنهٔ والرضوان، وسبیل الشـیطان الذی یحمله إلی سواء الجحیم. ویتَّجه کل سبیل إلی جهـهٔ، ولکل جهـهٔ إمام، ولکل إمام صـفات وأسـماء، ولکل أمـهٔ تابعـهٔ صـبغهٌ وشـرعهٌ ومنهاجٌ! والصـراع الأبدی الذی لا هدنهٔ فیه ولا مداهنهٔ ولا حلول وسط، أنه الصـراع بین سبیل الله وسُـبُل الشیطان. وقد قال سبحانه: [یَآ أَهْلَ الْکِتَابِ قَدْ جَآءَکُمْ رَسُولُنَا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمَّا کُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْکِتَابِ وَیَعْفُوا عَن کَثِیرٍ قَدْ جَآءَکُم مِنَ الله نُورٌ وَکِتَابٌ مُبِینٌ یَهْدِی بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَیُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَیَهْدِیهِمْ إِلَی صِـرَاطٍ مُسْـتَقِیمٍ] (المائدهٔ/۱۵-۱۶). وولایهٔ الله سـبحانه، وتولی أولیائه، واتِّباع الإمام المختار من عنـده، والإنخراط فی حزب الصالحین، کلُّها بلا ریب الولایهٔ الإلهیهٔ. فکیف لا تتواصـی بها رسالات الله ورُسـله وأوصـیاؤهم. ثانیاً: حکمـهٔ وجود الإنسان فوق هـذا الکوکب ابتلاؤه لیَعلم هل یَصدق أم هو من الکاذبین؟. هل یُخلص أم یکون من المنافقین؟. ولا یُبتلی البشـر بشـیء کما یبتلی باتِّباع القیادهٔ الإلهیـهٔ ورفض جبابرهٔ المال وطغاهٔ السـلطهٔ، أو تـدری لماذا؟ إن فی ضـمیر الإنسان کبراً لابـد أن یتغلب علیه حتی یصـبح من أهل الجنهٔ. وإن لم یتخلص منه باجتهاده وجهاده فی الدنیا، فإنه سوف یخلص منه بنار الجحیم فی الآخرهٔ، لأنه لا یـدخل الجنـهٔ مَن کان فی قلبه مثقال ذرهٔ من الکبر. ومحتوی الکبر النزعـهٔ السـخیفهٔ نحو ادِّعاء الربوبیهٔ. ولو تسـنی لأی إنسان ما تسـنی لفرعون لما امتنع عما قاله: [أَنَاْ رَبُّکُمُ الأَعْلَی] (النازعات/۲۴). وإنما یتطهر القلب عن الکبر إذا أُمر بطاعـهٔ مَن لیس بأکثر منه مالاً

وولداً. إطاعته بسبب أمر الله. وهكذا كانت الفتنة الكبرى للناس عند ابتعاث الرسل، إذ كيف يطيعون بشراً من أمثالهم؟. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: [أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ] (القمر/۲۴). ويتساءل البسطاء: لماذا امتحن الله تعالى خلقه بطاعة الأنبياء وطاعة أوصيائهم، وقد اختارهم من أوساط الناس؟. ويمضى المتسائل قائلًا: أولم يكن من الأفضل أن يزوِّدهم الله سبحانه بقوى خارقة وبأموال وبنين حتى تسهل طاعة الناس لهم؟ كلا. لأنه عندئذ كانت تبطل حكمة الإبتلاء، ولم تكن تصبح طاعتهم تطهيراً للنفوس من الكبر، وبالتالى لم يكن المطيعون لهم يزكّون بذلك إعداداً لدخول الجنة التى هى مأوى عباد الله الخالصين من دنس الشِّرك والكبر. وهكذا يبين هذه الحكمة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) إذ يقول: «ولو أراد الله أنْ يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رداؤه، وطيبٍ يأخذ الأنفاس عَرفُه لَفعل. ولو فعل لَظلت له الأعناق خاضعة، ولخفَّت البلوى فيه على الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للإستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم» [۱] . ويضيف الإمام (ع) فى ذات السياق قائلًا: «ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه – حيث بعثهم – أن يفتح لهم كنوز الذُّهبان ومعادن الْعُقيان، ومغارس الجنان، وأنْ يحشر معهم طيور السماء، ووحوش الارض لَفعل. ولو فعل لَسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنباء، ولَما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماء معانيها. ولكن الله سبحانه جعل رُسله أولى قوة فى عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً» [۲] . وبعد بيان مفصل حول حكمة الاختبار فى فصل زخارف الدنيا عن أولياء الله يقول سلام الله عليه: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبَّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل فى نفوسهم. فالله الله فى عاجل البغى، وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنها مصيبة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى، التى شاور وقلوب الرجال مشاورة السموم القاتلة» [۳] . وهكذا حرَّض الوحى على التسليم للأنبياء وأولى الأمر من خاصتهم، وجعل فيه ثواباً عظيماً. وجاء فى حديث مأثور عن النبيِّ (ص)، أنه قال: «إنّ أوثق عُرى الإيمان: الحب فى الله، والبغض فى الله، وتولّى أولياء الله، وتعادى عدوَّ الله» [۴] . وروى عن الإمام زين العابدين (ع) قوله: «مَن أَحبنا لا لِدُنيا يصيبها منّا، وعادى عدوَّنا لا لشحناء كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيامة مع محمد وإبراهيم وعلىّ» [۵] . وكما يتحدى الإنسان بالولاية نزعة الكبر وادِّعاء الربوبية فى ذاته، يتحدى بها نزعة الطمع وشهوات الدنيا، لأن من يطيع أولياء الله يحاربه طغاة الأرض والمترفون فى الدنيا بشتى وسائل الحرب، بالدعاية المضادة وبالتضييق الإقتصادى، وبالأذى الجسدى، وحتى بالتشريد والقتل. ولأن الولاية كانت امتحاناً عظيماً للإنسان، جُعلت شرطاً بقبول الأعمال، حيث إن هدف سائر الطاعات تذليل النفس البشرية المتفرعنة والمتجبرة. وتذليلها لطاعة ربها، وتطهيرها من عبودية الله عن دنس الكبر والشرك والشك. وهذا الهدف يبلغ قمته بالولاية، حيث يخضع البشر لبشر مثله لا يتميز عنه بجاهٍ عريض، ولا بثروة واسعة وإنما يأمره الله تعالى بذلك، وهذا ما تأباه النفس أشد الإباء. وقد سأل بعضُهم أن يَنزل عذابُ الله الواقع لكى لا يؤمن بالولاية. وها نحن نقرأ معاً أحاديث فى فضل الولاية، لنعرف مدى فضلها وكيف أنها قطب الرحى فى تعاليم الوحى. جاء فى حديثٍ مفصلٍ عن أمير المؤمنين (ع) فى إجابته لأسئلة زنديق: «إن الإيمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللسان كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله (ص) لمَّا قهرهم السيف وشملهم الخوف، فإنهم آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فالايمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلَّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره – كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد، كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلّا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحق» [۶] . ولذلك لم يقبل الله سبحانه طاعة عبد لم يقبل الولاية مهما اجتهد فى العبادة والطاعة. هكذا جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق (ع) عن آبائه (ع)، إذ قال: «مرّ موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء يدعو فانطلق موسى فى حاجته فغاب عنه سبعة أيام، ثم رجع إليه وهو رافع يَديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا موسى لَو دعانى حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتينى من الباب الذى أمرته به» [۷] . فولاية الإنسان

صبغة أعماله، إنْ خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرّ. لذلك جاء في الحديث المأثور عن رسول الله (ص)، فيما رواه أبو سعيد الخدري: «لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام، ثم ذُبح كما يذبح الكبش مظلوماً، لَبعثه الله مع النفر الذين يقتدى بهم، ويهتدى بهداهم، ويسير بسيرتهم إن جنة فجنة، وإن ناراً فنار» [۸] . وهكذا الولاية تكون وجهة المجتمع، وعليها يكون الحساب والجزاء. فقد روى عن الإمام على (ع) عن النبى (ص) عن جبرئيل (ع) عن الله عزّ وجلّ، قال: «وعزتى وجلالى لأُعذبنَّ كل رعية فى الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عزَّ وجلَّ، وإن كانت الرعية فى أعمالها برَّة تقية، وَلأَعفونَّ عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى وإن كانت الرعية فى أعمالها طالحة مسيئة» [۹] . فَضمنَ إطار الولاية الإلهية لابد أن نعرف شخصية الإمام السجاد (ع) وأبعاد حياته. إنه لم يكن كسائر الأنبياء والأئمة. ولا يكون خلفاؤهم من الصدِّيقيين والعلماء الربانيين طُلاب حكم وسيطرة، أو قادة حركات سياسية كالتى نفهمها. لا، ولكنهم سعوا جاهدين من أجل تطهير قلوب الناس من الجبت، ومجتمعاتهم من الطاغوت. ولكن ذلك لم يكن حكمة حياتهم الأولى حتى نقول: إنهم قد فشلوا فى تحقيق ذلك، وإنما كانت الحكمة الأولى ابتلاء الناس، حيث قاموا بتلاوة وحى الله وبتعليم الناس وتزكيتهم. وقد قال ربُّنا سبحانه: [هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ] (الجمعة/۲). بلى، كان من الأهداف السامية لبعثة الرسل، ونهضة اوصيائهم، وقيام أوليائهم، إعداد الناس للقيام بالقسط. ولا أقول قيامهم بالقسط بين الناس، لأن ذلك يوحى بالوكالة فى ذلك، وهذا ما ينفيه الوحى ببلاغة نافذة. فاستمع إلى قول ربِّك العزيز: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ] (الحديد/۲۵).

الامام السجاد وريث الأنبياء

ولأن الإمام زين العابدين (ع) ورث عن جده النبى المصطفى (عليه وآله الصلاة والسلام) دور الأنبياء، فإن الحكمة الأولى لإمامته هى ذات الحكمة الأولى فى رسالة الأنبياء، ابتلاء الناس بعد دعوتهم إلى الله، وكانت سائر الأهداف السامية – كإقامة القسط ونصرة المظلومين – فى امتداد تلك الحكمة، أى أنها تتفرع منها وتأتى بعدها. ولقد تسنَّت لسائر أئمة الهدى (ع) الظروف للقيام بتلك الأهداف المتدرجة، وبالذات الهدف السياسى، كما فعل الإمام على (ع) عندما نهض بأعباء الحرب ضد قريش مرتين، مرة فى عهد النبى وتحت لوائه، ومرة بعد النبى وتحت لواء الرسالة الحنفية وبرفقة أصحاب النبى (ص). وهكذا نجله الإمام الحسن (ع). حيث نهض هو الآخر بأعباء الحرب ضد معاوية، ثم أوقف الحرب لمصلحة المسلمين. وكذلك الإمام الحسين (ع) حيث قاوم معاوية بالسبل السلمية، وقام ضد ابنه يزيد بالسيف حتى استُشهد مظلوماً. وهكذا قام سائر الأئمة بأدوار سياسية، وبوسائل غير مباشرة، وبدرجات مختلفة. بينما الظروف العامة كانت تناسب تمخض الإمام السجاد (ع) تقريباً فى الدعوة الربانية، حسبما نبين ذلك فى مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى. وبذلك كانت حياة الإمام السجاد قطعة مشرقة بنور ربِّه.. وكانت تجلياً باهراً للإيمان الخالص بالله، وللهيام الشديد بالله، وللعبادة والتبتل. وحينما نقرأ معاً صفات الإمام على لسان نجله الإمام الباقر (ع)، نعرف ماذا تعنى ولاية الله، وولاية أوليائه، ولماذا التأكيد عليها، وكيف كانت حياة السجاد شلال نور إلهى. يقول نجله الإمام الباقر (ع): «كان على بن الحسين (ع) يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع). كانت له خمسمائة نخلة. فكان يصلى عند كل نخلة ركعتين، وكان إذا قام فى صلاته غشى لونه لون آخر، وكان قيامه فى صلاته قيام العبد الذليل بين يدى الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزَّ وجلَّ، وكان يصلى صلاة مودِّع يرى أنه لا يصلى بعدها أبداً، ولقد صلَّى ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوِّه حتى فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: ويحك أتدرى بين يدى مَن كنت؟. إنَّ العبد لا يُقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه. فقال الرجل: هلكنا، فقال: كلَّا.. إن الله عزَّ وجلَّ متمم ذلك بالنوافل وكان (ع) لَيخرج فى الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتى باباً باباً فيقرعه، ثم يناول مَن يخرج إليه.

وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه. فلما توفي (ع) فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان علي بن الحسين (ع). ولما وُضع (ع) على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل رُكَبِ الإبل. مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين. ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلّق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشتري الخزَّ في الشتاء، إذا جاء الصيف باعه فتصدق بثمنه، ولقد نظر (ع) يوم عرفة إلى قوم يسألون الناس، فقال: ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم، إنّه ليُرجى في هذا اليوم لِمَا في بطون الحبالى أنْ يكون سعيداً؟. ولقد كان (ع) يأبى أن يؤاكل أُمَّه، فقيل له: يابن رسول الله أنت أبرُّ الناس وأوصلَهم للرحم، فكيف لا تؤاكل أمَّك؟ فقال: إني أكره أنْ تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه. ولقد قال له رجل: يابن رسول الله إني لأحبُّك في الله حبّاً شديداً، فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أُحبَّ فيك وأنت لي مبغض. ولقد حج على ناقة له عشرين حجة فما قرعها بسوط، فلما نفقت [۱۰] أمر بدفنها لئلا يأكلها السباع. ولقد سئلت عنه مولاة له فقالت: أُطنب أو اختصر؟ فقيل لها: بل اختصري، فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، وما فرشت له فراشاً بليلٍ قط. ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم. وكان (ع) إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصيِّ رسول الله (ص). ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلَيه على رَطب ولا يابس من الأرض، إلّا سبَّحت له إلى الأرضين السابعة، ولقد كان يعول مئة أهل بيت من فقراء المدينة. وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرار والزّمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم. وكان يناولهم بيده، ومن كان له منهم عيال حمل له إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله. ولقد كان تسقط منه كل سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته، وكان يجمعها، فلما مات دُفنت معه. ولقد بكى على أبيه الحسين (ع) عشرين سنة، وما وضُع بين يَديه طعام إلّا بكى، حتى قال له مولى له: يابن رسول الله أَمَا آن لِحُزنك أن ينقضي؟. فقال له: ويحك، إن يعقوب النبيَّ (ع) كان له اثني عشر ابناً فغيَّب الله عنه واحداً منهم، فابيضَّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟» [۱۱] . وقد زخرت كتب التاريخ بكرامات الإمام [۱۲] ولا عجب فإن إماماً هذه صفاته، يكرمه الله بفضله، أولم يكرم الله عباده الصالحين باستجابة دعواتهم؟ وقد قال سبحانه: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] (غافر/۶۰). فكيف لا يستجيب لمن ذاب في حب ربه حتى خشي عليه الهلاك من شدة العبادة. ولننظر معاً في الرواية التالية ثم نقيسها بما نعرفه من قصص القرآن حول الصالحين من عباد الله، نرى أنهما نبعان من عين واحدة. عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي، قال كل واحد منهما: كنت أسيح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة، فإذا أنا بصبي يمشي، فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي؟. فدنوت منه وسلَّمت عليه، فردّ عليَّ السلام. فقلت له: إلى أين؟. قال: أريد بيت ربِّي. فقلت: حبيبي، إنك صغير ليس عليك فرض ولا سنَّة. فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر سنّاً مني مات؟ فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي. فقلتُ: ما أرى شيئاً من الطعام معك؟ فقال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك إنساناً إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟. قلت: لا، قال: الذي دعاني إلى بيته هو يطعمني ويسقيني. فقلت: ارفع رجلك حتى تدرك [۱۳] فقال: عليَّ الجهاد، وعليه الإبلاغ. أما سمعت قوله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] (العنكبوت/۶۹). قال: فبينما نحن كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصبي وسلَّم عليه. فأقبلتُ على الشاب وقلت له: أسألك بالذي حَسَّن خلقك مَن هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فتركت الشاب وأقبلت على الصبي، وقلت: أسألك بآبائك مَن هذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا أخي الخضر، يأتينا كلَّ يوم فيسلِّم علينا. فقلت: أسألك بحق آبائك لما أخبرتني بما تجوز المفاوز بلا زاد؟ قال: بل أجوز بزاد، وزادي فيها أربعة أشياء. قلت: وماهي؟ قال: أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإماؤه وعياله، وأرى الاسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض الله. فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابدين، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا؟ [۱۴] . وقصة مشابهة يرويها حماد بن حبيب الكوفي القطان فيقول: انقطعت عن القافلة عند زبالة [۱۵] فلما أجنَّني الليل أويت إلى شجرة

عالية. فلما اختلط الظلام إذا أنا بشاب قد أقبل عليه أطمار بيض تفوح منه رائحة المسك. فأخفيت نفسى ما استطعت. فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائماً وهو يقول: يا من حاز كل شىء ملكوتاً، وقهر كل شىء جبروتاً، أولج قلبى فرح الإقبال عليك، وألحقنى بميدان المطيعين لك، ثم دخل فى الصلاة. فلما رأيته وقد هدأت أعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذى تهيأ فيه إلى الصلاة، فإذا أنا بعين تنبع. فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فإذا بمحراب كأنه مثل فى ذلك الوقت فرأيته كلما مر بالآية التى فيها الوعد والوعيد يرددها بانتحاب وحنين. فلما أن تقشع الظلام وثب قائماً وهو يقول: يا من قصده الضالون فأصابوه مرشداً، وأَمَّه الخائفون فوجدوه معقلاً، ولجأ إليه العابدون فوجدوه موئلاً. متى راحة مَن نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بِنيته؟ إلهى قد تقشّع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً، ولا ـ من حياض مناجاتك صدراً، صلِّ على محمد وآله وافعل بى أولى الأمرين بك يا أرحم الراحمين. فخفت أن يفوتنى شخصه وأن يخفى على أمره، فتعلقت به فقلت: بالذى أسقط عنك هلاك التعب، ومنحك شدة لذيذ الرهب، إلاّ ما لحقتنى منك جناح رحمة وكنف رقة، فإنى ضال. فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالاً، ولكن اتبعنى واقفُ أثرى. فلما ان صار تحت الشجرة أخذ بيدى وتخيل لى أن الأرض تمتد من تحت قدمى، فلما انفجر عمود الصبح قال لى: أبشر فهذه مكة، فسمعت الضجة ورأيت الحجة، فقلت له: بالذى ترجوه يوم الآزفة يوم الفاقة، مَن أنت؟ فقال: إذا أقسمت فأنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب [۱۶] . ألم أقل لك إنه كان ومضة نور وشلاَّل إيمان، وقبساً من وهج الرسالة؟.. كان الظلام يخيم على طرقات المدينة وقد أوى الناس إلى بيوتهم، والسماء تمطر ورياح الشتاء الباردة تعصف.. فيقول: الزهرى: رأيته (ع) يمشى وعلى ظهره دقيق. فقلت يابن رسول الله، ما هذا؟. قال (ع): أريد سفراً أعد له زاداً أحمله إلى موضع حريز. فقال الزهرى: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى (ع). فقال الزهرى: أنا أحمله عنك فأنى ارفعك (وأجلُّك) عن حمله. فقال على بن الحسين (ع): لكنى لا أرفع نفسى (ولا أجل نفسى) عما ينجينى فى سفرى، ويحسن ورودى على ما أرد عليه. وأضاف الإمام قائلاـ: أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتنى. فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قال له يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً. قال: بلى يا زهرى!. ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله استعدّ، وأضاف الإمام لبيان هدف حمله تلك البضاعة فى الليل إلى بيوت الفقراء: إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل النفوس فى الخير [۱۷] . إن جذور شخصية الإمام زين العابدين تمتد فى أفق معرفته بالله تعالى، ويقينه باليوم الآخر، ووعيه للسرعة الخاطفة التى تبتلع ساعات الليل والنهار من عمر البشر، وتزاحم الواجبات عليه!. حينما يسأله رجل كيف أصبحت يابن رسول الله؟ يقول: أصبحت مطلوباً بثمان: الله يطلبنى بالفرائض، والنبى (ص) بالسنّة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان باتّباعه، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد. فأنا بين هذه الخصال مطلوب [۱۸] . إنه كان مثلاً رائعاً للآية الكريمة: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (آل عمران/۱۹۱). لقد أحبَّ الله حتى فاضت على شفاهه روافد الحب فى صورة ابتهالات ومناجاة سجَّل التاريخ جزءاً بسيطاً جدّاً منها فى صحيفته المعروفة بـ (السجادية).. فلنستمع معاً إلى هذه الرائعة التى تبهر الأبصار: «فقد انقطعتْ إليك هِمَّتى، وانصرفتْ نحوك رغبتى. فأنتَ لا ـ غيرك مرادى، ولك لا ـ لسواك سهرى وسُهادى، ولقاؤك قرة عينى، ووصلك مُنَى نفسى، وإليك شوقى، وفى محبتك وَلَهى، وإلى هواك صبابتى، ورضاك بُغيتى، ورؤيتك حاجتى، وجوارك طلبى، وقربك غاية سؤلى، وفى مناجاتك رَوحى وراحتى، وعندك دواء علتى، وشفاء غُلتى، وبردُ لوعتى، وكشفُ كربتى، فكن أنيسى فى وحشتى، ومُقيل عثرتى، وغافر زلتى، وقابل توبتى، ومجيب دعوتى، ووليّ عصمتى، ومغنى فاقتى، ولا تقطعنى عنك، ولا تبعدنى منك، يا نعيمى وجنتى، ويا دنياى وآخرتى، يا أرحم الراحمين» [۱۹] . فأىُّ قلبٍ مفعم بالإيمان هذا الذى يفيض بهذه الكلمات المضيئة؟!.. وأى فؤاد ملتهب بالشوق إلى الله، متيم بحب الله، يشع بهذه المناجاة؟. إنّه قلب ذلك الإمام الذى كانت الصلاة أحب الأمور إليه. وكان الذكر شغله الشاغل والعبادة صبغة حياته! فقد دخل على الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عينَى على بن الحسين (ع)، فقال: يا أبا محمد لقد بيَّن عليك الإجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب وكيد

السبب. وإنك لـذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوى عصرك، ولقد أوتيتَ من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولاـ قبلك، إلاّ مَن مضى من سلفك.. وأقبل يُثني عليه ويطريه.. قال: فقال على بن الحسين (ع): «كلّما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه. فأين شكرُه على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟. كان رسول الله (ص) يقف فى الصلاة حتى تورّمت قدماه، ويظمأ فى الصيام حتى يُعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول (ص) أفلاـ أكون عبداً شكوراً؟. الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد فى الآخرة والأولى. والله لو تقطعت أعضائى، وسالت مقلتاى على صدرى، لن أقوم لله جل جلاله بشكر عَشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه الّتى لا يحصيها العادُّون، ولا يبلغ حدّ نعمة منها على جميع حمد الحامدين، لاـ والله أو يرانى الله لاـ يشغلنى شىء عن شكره وذكره، فى ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية. ولولا أن لأهلى عَلَيَّ حقاً، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم عَلَيَّ حقوقاً لاـ يسعنى إلاّـ القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لَرميتُ بطرفى إلى السماء، وبقلبى إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضى الله على نفسى وهو خير الحاكمين». وبكى (ع) وبكى عبد الملك وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ماله فى الآخرة من خلاق. ثم أقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشفّعه فيمن شفَّع، ووصله بمال [۲۰] . وعندما يراه طاوس فى أخريات الليل يطوف بالبيت الحرام يرى منه عجباً حتى يشفق عليه فلنستمع إليه، يروى قصته: رأيته يطوف من العشاء إلى السَّحر ويتعبد، فلمّا لم يَرَ أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: «إلهى غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابُك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لى وترحمنى، وترينى وجه جَدِّى محمد (ص) فى عرصات القيامة». ثم بكى وقال: «وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٌّ، ولا بنكالك جاهلٌ، ولاـ لعقوبتك متعرضٌ، ولكن سوَّلت لى نفسى، وأعاننى على ذلك سترُك المرخَى به عَلَيَّ. فالآن من عذابك من يستنقذنى؟. وبحبل مَن أعتصم إنْ قطعتَ حبلك عنى؟. فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يَديك، إذا قيل للمخفِّين جوزوا، وللمثقَلين حُطُّوا. أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أَحط؟ ويلى كلما طال عمرى كثرت خطاياىَ ولم أتب، أما آن لى أن أستحى من ربِّى؟!». ثم بكى وأنشأ يقول: أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى ثم اين محبّتى أتيتُ بأعمالٍ قباحٍ زَرِيَّةٍ وما فى الورى خلق جنى كجنايتى ثم بكى وقال: «سبحانك تُعصَى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تُعص تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدى الغنى عنهم». ثم خر إلى الارض ساجداً. قال: فدنوتُ منه وشلتُ برأسه ووضعتُه على ركبتى وبكيتُ حتى جرت دموعى على خده، فاستوى جالساً وقال: «مَن الذى أشغلنى عن ذكر ربِّى؟» فقلتُ: أنا طاووس يابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن على وأُمك فاطمة الزهراء،و جدك رسول الله (ص)؟! قال: فالتفت إلىّ وقال: «هيهات هيهات يا طاووس، دع عنى حديث أبى وأمى وجدى، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيًا. أما سمعتَ قوله تعالى: [فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسآءَلُونَ] (المؤمنون/۱۰۱)؟. والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدمها من عملٍ صالح» [۲۱] . ولأنه أحب الله فوّض إليه أمره وسلّم له أشد التسليم، وهو (ع) يروى عن نفسه القصة التالية فيقول: «مرضتُ مرضاً شديداً، فقال لى أبى: ما تشتهى؟ فقلتُ: أشتهى أنْ أكون ممَّن لا أقترح على الله ربِّى ما يدبِّره لى. فقال لى: أحسنتَ، ضاهيتَ إبراهيم الخليل صلوات الله عليه حيث قال جبرئيل: [۲۲] هل من حاجة؟. فقال: لا أقترح على ربِّى، بل حسبى الله ونعم الوكيل» [۲۳] . وهكذا أحبه الله تعالى وأكرمه ورفع شأنه، وأجرى على يديه تقديره، وألزم الناس ولايته. والقصة التالية تعكس مدى حب الله سبحانه للإمام زين العابدين (ع): والقصة يرويها طائفة من عُبَّاد البصرة وفقهاءها وهم ثابت البنانى، وأيوب السجستانى، وصالح المرى، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسى، ومالك بن دينار. وننقل فيما يلى نص ما جاء فى هامش كتاب بحار الأنوار (ج ۴۶، ص ۵۰) عن هؤلاء الْعُبَّاد بالترتيب: أولًا: ثابت البنانى: من التابعين وقد ترجمه أبو نعيم فى حلية الأولياء (ج ۲، ص ۳۱۸ إلى ص ۳۳۳) فقال: ومنهم المتعبد الناحل، المتهجد الذابل، أبو محمد ثابت بن مسلم البنانى، وذكر أنه أسند عن غير واحد من الصحابة منهم: ابن عمر، وابن الزبير، وشداد وأنس وأكثر الرواية عنه. وروى عنه جماعة من التابعين منهم: عطاء بن أبى

رياح، وداود بن أبى هند، وعلى بن زيد بن جدعان، والأعمش، وغيرهم. ثانياً: أيوب السجستانى: من التابعين. قال أبو نعيم فى حلية الأولياء، وقد ترجمه فى (ج ٣ من ص ٣ إلى ص ١٣): ومنهم فتى الفتيان، سيد العبّاد والرهبان، المنوَّر باليقين والإيمان. السجستانى أيوب بن كيسان. كان فقيهاً محجاجاً، وناسكاً حجاجاً، عن الخلق آيساً، وبالحق آنساً. أسند أيوب عن أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمى. ومن قدماء التابعين، عن أبى عثمان الهندى، وأبى رجاء العطاردى، وأبى العالية، والحسن، وابن سيرين وأبى قلابة. وذكره الأردبيلى فى جامع الرواة (ج ١، ص ١١١) فقال: أيوب بن أبى تميمة، كيسان السجستانى العنزى البصرى، كنيته أبو بكر مولى عمار بن ياسر، وكان عمار مولى، فهو مولى مولى. وكان يحلق شعره فى كل سنة مرة، فإذا طال فَرَق. مات بالطاعون بالبصرة سنة ١٣١. ثالثاً: صالح المرى: هو ابن بشير، وصفه أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ١۶۵) بقوله: القارئ الدرِى، والواعظ التقى، أبو بشير صالح بن بشير المرى، صاحب قراءة وشجن ومخافة وحزن. يحرك الأخيار، ويفرك الأشرار. اسند عن الحسن، وثابت، وقتادة، وبكر بن عبد الله المزنى، ومنصور بن زاذان وجعفر بن زيد، ويزيد الرقاشى، وميمون بن سياه، وأبان بن أبى عياش، ومحمد بن زياد، وهشام بن حسان، والجريرى، وقيس بن سعد، وخليد بن حسان فى آخَرين. رابعاً: عتبة الغلام: هو الحر الهمام، المجلو من الظلام، المكلوء بالشهادة والكلام، قال عبيد الله بن محمد: عتبة الغلام هو عتبة بن أبان بن صمعة، مات قبل أبيه. وسئل رباح القيسى عن سبب تسمية عتبة بالغلام فقال: كان نصفاً من الرجال، ولكنّا كنّا نسميه الغلام لأنه كان فى العبادة غلامَ رهِان، استشهد وقتل فى قرية الحباب فى غزو الروم، ترجمه مفصلاً أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ٢٢۶ إلى ٢٣٨). خامساً: حبيب الفارسى: قال أبو نعيم فى الحلية (ج ۶، ص ١۴٩): أبو محمد الفارسى من ساكنى البصرة، كان صاحب المكرمات، مُجاب الدعوات، وكان سبب إقباله على الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن بن أبى الحسن، فوقعت موعظته من قلبه.. وتصدق بأربعين ألفاً فى أربع دفعات. سادساً: مالك بن دينار أبو يحيى، وصفه أبو نعيم فى الحلية بقوله: العارف النظّار، الخائف الجبّار.. كان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكاً، وقد أطال فى ذكره (ج ٢، من ص ٣۵٧ إلى ص ٣٨٩).

استجابة دعائه

عن ثابت البنانى قال: كنت حاجّاً وجماعةَ عُبّاد البصرة مثل أيوب السجستانى وصالح المرى وعتبة الغلام وحبيب الفارسى ومالك بن دينار. فلما ان دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث. ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألونا أن نستسقى لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فَمُنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتىً قد أقبل، قد أكربته أحزانُه، وأقلقته أشجانُه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البنانى، ويا أيوب السجستانى، ويا صالح المرى، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسى، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الأعمى، ويا رابعة، ويا سعدانة، ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لَبّيك وسعدَيك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمان؟. فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة. فقال: ابعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمان لأجابه. ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول فى سجوده: سيدى، بحبك لى إلّا سقيتهم الغيث، قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه الْقُرَب، فقلت يا فتى: من اين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبنى لم يستزرنى، فلما استزارنى علمتُ أنّه يحبنى، فسألتُه بحبه لى فأجابنى، ثم ولى عنّا وأنشأ يقول: من عرف الرب فلم يُغنه معرفةُ الرب فذاك الشقى ما ضرَّ فى الطاعة ما ناله فى طاعة الله وماذا لقى ما صنع العبد بغير التقى والعزُّ كلُّ العزِّ للمتَّقى فقلت: يا أهل مكة من هذا الفتى؟. قالوا: على بن الحسين (ع) بن على بن أبى طالب. وعن المنهال بن عمرو فى خبر قال: حججت فلقيت عليَّ بن الحسين (ع)، فقال: ما فعل حرملة بن كاهل؟. قلت: تركته حيّاً بالكوفة؛ فرفع يديه ثمَّ قال (ع): اللهمَّ أذِقْهُ حَرَّ الحديد، اللهمَّ أذِقْهُ حَرَّ النار. فتوجّهت نحو المختار، فإذا بقوم يركضون ويقولون البشارة أيّها الأمير، قد أُخِذَ حرملةُ، وقد كان توارى عنه، فأمر بقطع يديه ورجليه وَحرْقه بالنار. وكان زين العابدين (ع) يدعو فى كلِّ يوم أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلمّا قتل المختارُ قَتَلَةُ الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعث برأس عبيد الله

بن زیاد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قِبَلِه إلی زین العابدین، وقال لرسوله: إنّه یصلّی من اللّیل، وإذا أصبح وصلّی صلاة الغداة هجع، ثمَّ یقوم فیستاک ویؤتی بغدائه، فإذا أتیت بابه فاسأل عنه، فإذا قیل لک: إنَّ المائدة وضعت بین یدیه فاستأذن علیه وضع الرأسین علی مائدته، وقل له: المختار یقرأ علیک السلام ویقول لک: یابن رسول الله، قد بلّغک الله ثارک. ففعل الرَّسول ذلک: فلمّا رأی زین العابدین (ع) الرأسین علی مائدته خرَّ ساجداً وقال: «الحمد لله الّذی أجاب دعوتی، وبلّغنی ثاری من قتلة أبی، ودعا للمختار وجزّاه خیراً» [۲۴] . وحینما نعرف جانباً من شخصیة الإمام زین العابدین (ع) ومدی تفانیه فی ذات الله عزَّ وجلَّ وذوبانه فی تیار حبّه سبحانه، وخلوصه من شوائب المصلحة المادیة، نعرف – حینئذ – جانباً من حکمة الولایة، وذلک التأکید الشدید علیها فی نصوص الإسلام. فمثل ولایة الإمام السجاد تصلح نفس الإنسان وتتسامی فی معارج الکمال، وإن ولایة الأنبیاء والأوصیاء تصبغ شخصیة المجتمع المؤمن بصبغة الإیمان، وتیسر له العمل بتعالیم أولیاء الله تعالی، والسعی وراء تمثیل شخصیاتهم الإلهیة، کما أن تلک الولایة تسقی روضة حب الله فی أفئدتهم، وتصونها من الذبول، لأن حب أولیاء الله یفیض من حب الله کما تفیض الروافد من نبعٍ زخّار، بل إن حب أولیاء الله هو انبساط لحب الله، وأمثلة له وشواهد علیه!. وکیف یمکن أن یدَّعی أحد أنه یحب الله ثم لا یحب من هام فی حب الله حتی بلغ ما بلغه الإمام زین العابدین (ع) من العبادة والتهجد؟! أولم یقل ربُّنا العزیز: [قُلْ إن کُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ الله] (آل عمران/۳۱). فلنغترف من نبع حب الله فیضاً، وذلک بِحُبِّ أولیائه أکثر مما مضی، حتی نطهِّر أفئدتنا من أهواء الدنیا ومن أدران حب أهلها اللئام.

میلاده و عصره

اشاره

کان الإمام زین العابدین (ع) فی قلب الأحداث السیاسیة التی ساهمت فی تکوین الأمة الإسلامیة، ورَسْمِ ملامحها التاریخیة.. لقد ولد (سلام الله علیه) فی بیت جدِّه علی أمیر المؤمنین (ع)، من نجله الکریم الإمام الحسین (ع)، عندما کان الإمام یخوض صراعاً مریراً مع أعداء الإسلام المتسترِّین فی الجمل وصِفین والنهروان، وکان والده الحسین (ع) قائداً فی جیش الإسلام – یومئذ – کما کان مضطلعاً مع والده بإدارة أمور المسلمین.. ولا ریب أن تلک الأحداث الرهیبة التی لازالت أصداؤها تدوی فی واقعنا حتی الیوم، ساهمت فی صنع شخصیة الولید الکریم الذی استقبله بیت الإمامة فی عام (۳۵) للهجرة الکریمة، عندما کانت الأمة الإسلامیة تعیش غلیاناً انتهی بمقتل الخلیفة الثالث، وما أعبقه من فتنة بنی أمیة فی المطالبة بدمه.

ام السجاد

جاء فی کتب التاریخ أن والدة الإمام السجاد (ع) هی (شهر بانو) بنت آخر ملوک الفرس، من سلسلة الساسانیة (یزدجرد). وکانت الأمبراطوریة الفارسیة کأی نظام جاهلی آخر قائمٍ علی الطبقیة والظلم والعدوان، فلما أشرق نور الإسلام تهاوت کما تتهاوی شجرة منخورة أمام إعصارٍ عنیف، وانهزم الأمبراطور من بلد إلی آخر حتی قُتل غیلةً فی خراسان، وبقیت عائلته فی تلک البلاد حتی فتحت علی عهد عثمان فی عام (۳۲) وجیء بهم إلی المدینة المنورة، فلما مثلوا أمام الخلیفة الثالث وحضر کبار الأصحاب، أشار الإمام أمیر المؤمنین (ع) إلی الخلیفة بإکرامهم ورغّبه فی ذلک بذکر حدیث الرسول (ص): «أکرموا عزیزَ قومٍ ذَل». ولعل الحکمة فی ذلک کانت استمالة الشعوب التی لم تزل تحترم قیادتها وکرماءها، لکی لاتبقی بینهم وبین قبول الإسلام حواجز الحقد والضغینة. فلما تریث الخلیفة فی ذلک قال الإمام أمیر المؤمنین (ع): «اعتقتُ منهم لوجه الله حقی وحق بنی هاشم». وتبعه فی ذلک الأنصار والمهاجرون، فلم یر الخلیفة بدّاً من قبول الأمر، فأشار الإمام أمیر المؤمنین (ع) بأن تُترک کلُّ واحدةٍ لاختیار الزوج المناسب، فاختارت إحدی بنات

يزدجرد الحسين (ع)، بينما اختارت الثانية الحسن، وقيل محمد بن أبى بكر. فحملت شهر بانو فى تلك السنة. وفى منتصف شهر جمادى الأولى لعام ثلاث وثلاثين من الهجرة ولدت ابنها البكر، وماتت وهى فى نفاسها، فتكفلته واحدة من أمهات الأولاد عند الإمام الحسين (ع)، فنشأ زين العابدين فى كنفها، وكان يزعم الناس أنها أُمه بينما كانت مولاته [۲۵] . وفى السابعة من عمره استُشهد جدُّه الإمام أمير المؤمنين (ع) فى محراب مسجد الكوفة. وبعد أشهر عاد أهل البيت إلى المدينة حيث ترعرع على بن الحسين (ع) فى ربوعها المضوَّعة بعطر الرسول (ص)، فلما بلغ السابعة عشر اغتيل بالسم عمَّه الإمام الحسن المجتبى (ع). وعاش الإمام السجاد (ع) يمارس فى ظلال والده الإمام الحسين (ع) دور الريادة فى مواجهة الردة الجاهلية الأموية. وبالرغم من قلة المعلومات التى تفصّل طبيعة هذه المواجهة المتسمة بالهدوء وربما السرّية، فإن ما بقى لنا من خُطب الإمام الحسين (ع) ضد معاوية، وكتبه النارية الموجهة إليه، وما رافق عهد معاوية من انتفاضات بقيادة أصحاب الرسول الموالين لأهل بيته عليه وعليهم صلوات الله، أقول: إن ما بقى لنا من ذلك يُعطينا صورة كافية للحالة السياسية التى عاشها الإمام السجاد أيام والده (ع)، حينما كان فى مقتبل العمر.

بعد عاشوراء

ومهما كانت قوة الحركة السياسية فى عهد معاوية، فإنها كانت ناراً تحت رماد الهدوء السياسى الذى فرضه معاوية على الساحة بدهائه المعروف وبوسائله المختلفة من توزيع الأموال والمناصب ثمناً لسكوت الطامعين، وتوزيع العسل المسموم على الأحرار. وقد اشتهر عنه القول: إن لله جنوداً من عسل.. وهكذا كانت التيارات السياسية تنتظر بفارغ الصبر هلاك معاوية. ومن هنا أصبحت واقعة كربلاء صاعقاً فجَّر الثورات فى آفاق العالم الإسلامى، لأنها جاءت فى الوقت المناسب بعد هلاك وريث أبى سفيان، داهية العرب، فافتتحت عصر الثورات المناهضة للجاهلية المقنَّعة. فبعد شهادة السبط الشهيد (ع) انتفضت مدينة الرسول، وخلعت يزيد بن معاوية، وقام عبد الله بن الزبير بمكة يطالب بالخلافة، وثارت الكوفة بقيادة سليمان بن صرد، ثم بقيادة المختار. وهكذا أصبحت الثورات والإنتفاضات صبغة الحياة السياسية فى البلاد الإسلامية، واسلوباً شاخصاً لمواجهة الطغيان والفساد. ولذلك فإننا نستطيع أن نسمى عهد الإمام السجاد (ع)، خصوصاً فى بداياته - منذ واقعة عاشوراء - عهد الثورات والإنتفاضات. بيد أن الثورة بذاتها ليست هدفاً مقدساً، وإنما الهدف المقدس هو تلك القيم المتسامية التى تحركها، وإلاّ فان ضررها يكون أكبر من نفعها. أوليست الثورة بذاتها حالة تمرد على النظام وتعكِّر جو الأمن، وتُثير الإضطراب، وتُريق الدماء؟ وبلى، فهى - إذاً - حالة استثنائية لا يحمدها العقلاء، ولكنها إنما تكتسب شرعيتها وقدسيتها من الغايات النبيلة التى تهدف إليها. فلأنها تخرج الناس من ظلمات الركود والجهل والظلم إلى نور النشاط والعقل والعدالة، أصبحت الثورة - بمعناها الشامل - صبغة حياة الأنبياء والأوصياء وعباد الله الابرار. ولأنها تزيل عن قلوب الناس رين الغفلة واللامبالاة، وعن تجمعاتهم سحابة الظلم والإعتداء، وعن مجتمعهم كابوس الطغيان والفساد، فقد أصبحت مسؤولية كلِّ حرٍّ أبيٍّ، ووسامَ حقٍّ لكلِّ ذى كرامة وشرف.. ومن هنا ركزت نصوص الوحى على هدف الثورات ضمن تعبير «القيام لله» وحيث قال ربُّنا سبحانه: [قُلْ اِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ] (سبأ/۴۶). وقال عزَّ وجلَّ: [قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ] (النساء/۱۳۵). وهكذا كانت الحالة الثورية التى عمّت آفاق البلاد الإسلامية ببركة استشهاد الإمام الحسين (ع)، بحاجة إلى هوية وصبغة، وروح، وقيم، لكى تتكرس فى ضمير الأمة، ولا تصبح كشعلة السعف أو زوبعة الفنجان لا تلبث أن تتلاشى.. ولكى تتخذ مساراً رساليّاً مستقيماً، ولا تصبح أداةً بيد كلِّ طامع أو متهوِّر كأمثال عبد الله بن الزبير وكغيره من الذين طفقوا يستفيدون منها بابشع صورة. فهذا ابن الزبير يصعد المنبر بعد مقتل الإمام الحسين (ع) فيثنى عليه ويلعن قاتله ويخلع يزيد. ولكن عندما أحس باستتباب الأمر له أظهر عداءً شديداً لآل البيت (ع)، حتى أنه ترك الصلاة على جدهم النبى (ص)، لكى لا ـ يشمخوا بأنوفهم عند ذكره حسب قوله ! فمن أجل ألا تصبح الحالة الثورية مطية لكل من يهوى السلطة أو يبحث عن مجد مثل ابن الزبير، جاء الإمام السجاد (ع) يعطى لتلك الحالة هويَّتها الرسالية، وصبغتها الإلهية، وروعتها التى تمثلت فى قيم الوحى، وسبيلها القويم الذى رسمته شريعة الله تعالى. ولعل هذا أعظم دور قيادى قام به الإمام السجاد (ع). ولم يكن

هذا الدور نابعاً من حالة مزاجية عند الإمام (ع) أو لأنه شاهدَ مثلًا وقائع الطف الفظيعة، فاصطبغت شخصيته بها. ولم يملك إلّا البكاء والتفجّع والتبتّل والضراعة. أجل، إن تلك الحادثة كان لها أثرها البالغ فی شخصيته الكريمة، ولكن الإمام المعصوم (ع) يقوم بواجبه الإلهی، وليس بما تمليه حالته النفسية. والشاهد على ذلك أن الإمام زين العابدين (ع)، الذی اصطبغت شخصيته الكريمة بالتهجد والبكاء، حمل رسالة عاشوراء بعد شهادة والده، هو وعمّته عقيلة الهاشميين زينب (ع). وما أدراك ما رسالة عاشوراء!. إنها رسالة الجرح الثائر، والدم المنتصر، والألم المتمرد، والإنتفاضة التی لا تهدأ. أوَما سمعت خطبته اللاهبة فی أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من فاجعة الطف كيف أثارت فيهم دفائن العطف، ونفضت عن أفئدتهم غبار الرهبة والتردد، فقالوا له: مرنا بأمرك فإنّا مطيعون لأمرك، لنأخذن يزيد ونتبرأ ممن ظلمك وظلمنا. ولكنه قال لهم: «مسألتی ألا تكونوا لنا ولا علينا». وها نحن نستمع معاً إلی فقرات من تلك الخطبة الثائرة: أومأ إلی الناس فسكتوا، فحمد الله وصلَّی علی النبیِّ، ثم قال: «أيها الناس، من عرفنی فقد عرفنی، ومن لم يعرفنی أُعرِّفه بنفسی. أنا علیُّ بن الحسين بن علی، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، أنا ابن من هُتك حريمه، وانتُهب ماله، وسُلب نعيمه. فبأية عين تنظرون بها رسول الله (ص) إذا قال لكم: قتلتم عترتی، وهتكتم حرمی، فلستم من أمتی» ثم بكی (ع) [۲۶] . وعندما أُدخل أسيراً على ابن زياد الطاغية الذی زعم أنه انتصر على الخط الرسالی وإلی الأبد، تحدَّاه الإمام (ع) وقال له: «سوف نَقف وتَقفون، ونُسأل وتُسألون، فأیّ جواب تردُّون، وبخصام جدِّنا إلی النار تُقادون» [۲۷] . فلما همّ ابن زياد بقتله قال له الإمام (ع): «أأنت تهددنی بالقتل؟. أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة، وكرامتُنا من الله الشهادة»؟. وكان موقفه من الطاغية يزيد، ذلك المجرم الذی لم يدع جريمة شنيعة إلّا وارتكبها فی سنی حكمه القصيرة، كان موقفه قمة فی التحدِّی ومثلاً أعلی فی الجهاد بالكلمة الرافضة. ومرة أخری حينما نال خطيب يزيد فی الجامع الأموی من آل بيت الرسول تصدَّی له الإمام السجاد (ع) قائلاً: « ويلك يا هذ الخاطب، اشتريت مَرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوَّأ مقعدك من النار». ثم التفت إلی يزيد واستأذنه بصعود المنبر، فلم يجد يزيد بدّاً من ذلك فلما تشرف به المنبر ألقی تلك الخطبة البليغة التی لايزال صداها يدوّی فی الآفاق إلی اليوم.. وإلی أبد الآبدين. وحينما هدم طاغية العراق الحجاج بن يوسف الثقفی الكعبة تصدَّی له الإمام (ع) وقال: «يا حجاج، عمدت إلی بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته فی الطريق وانتهبته، كأنك تری أنّه تراث لك. إصعد المنبر وانشد الناسَ أن لايبقی أحد منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردَّه» [۲۸] . وهكذا كانت سجية الإمام الشجاعة، ولكن الظروف التی عاشها لم تكن تنقصها الثورة والشجاعة، لأن واقعة الطف قد شحنت ضمير الأمة بالشجاعة بِما يكفيها لقرون متمادية، وربما إلی الأبد. إنما كانت بحاجة إلی صبغة إيمانية تسمو بالثورة إلی أهدافها القيّمة، وهكذا اتَّجه الإمام (ع) إليها. فزعم السذج من الناس أن ذلك كان مزاجاً شخصيّاً . كما زعموا فی مثل ذلك فی الأنبياء. فمنهم من قال: إن تضحية إبراهيم وصبر نوح، ووحدة موسی وزهد عيسی وخُلق محمد عليهم جميعاً صلوات الله، وسائر الصفات المتميزة لكل نبیٍّ من رُسل الله (ع) إنما كانت سمات شخصياتهم، وحالاتهم المزاجية، ناسين أن الله تعالی أعلم حيث يجعل رسالته، وأنه لا يجعل رسالته إلّا حيث تقتضی حكمته. وأن تلك الصفات التی تجلَّت بهم كانت ضرورية للظروف التی عاشوها والبشر الذين تعاملوا معهم. حتی ولو افترضنا جدلاً أن نبيّاً وُضِعَ فی مقام نبیٍّ آخر لتبنّی سلوكه وعمل بمنهاجه، بلا اختلاف قليل أو كثير. وكالأنبياء يكون الأئمة، فلكل واحد منهم صحيفة يعمل بها، وقد كانت مرسومة ضمن السياق التاريخی الذی عاشه. وحسب تلك الصحيفة الإلهية عمل الإمام السجاد (ع). الذی كانت حياته قمة فی العبادة والضراعة، وبثّ روح الإيمان فی المجتمع، وتربية رجال متميزين فی الزهد والتهجد، من أمثال: الزهری، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد الله السبيعی، وآخرين.. وهكذا رسمت صحيفة السجاد (ع) منهاج إمامته فيما يبدو فی التركيز على الجانب الروحی، على أنه كان فی طليعة مهامّ سائر الأئمة (ع)، إلّا أن الحاجة إليه كان فی عهد الإمام زين العابدين (ع) أشد، ولذلك كان التركيز عليه أعظم. ولكن السؤال: كيف اضطلع الإمام بهذه المهمة؟. وأی منهاج اتَّبعه لبلوغ هذا الهدف العظيم؟

منهاج الإمام فی التربية الروحية

ممّا لاشك فيه أن أئمة الهدى هم مشاعل الحق للأجيال فى كل عصر ومصر، ولكن لأن الظروف مختلفة من جيل لآخر، ومن مصر لمصر ثان، ولأن الله قد ختم بالمصطفى رسالاته، وبأوصيائه خلفاءه المعصومين، فإن حكمته اقتضت أن تكون سيرة كل واحد منهم متميزة بهدى ومنهاج، ليكون مجمل سيرهم المتنوعة ذخيرة غنية يرجع الناس إليها ليأخذوا منها ما يتناسب وظروفهم الخاصة.. وكانت سيرة الإمام على بن الحسين (ع) الإيمانية هى المنهاج المتناسب كليّاً وظروف مشابهة لظروفنا فى بعض البلاد حيث حبانا الله سبحانه بحالة ثورية تحتاج إلى المزيد من الروح الإيمانية حتى لاتخرج الحركة عن مسارها الدينى، ولا تفسد السياسة ومصالحها وحتمياتها النقاء الإيمانى الذى يحتاجه العاملون فى سبيل الله. فماذا كانت سيرته، وماهو برنامجه؟ أولًا: كان عباد الله المخلصون دعاة إلى الله بسلوكهم قبل أن يكونوا دعاة بألسنتهم، فما أمروا الناس بشيء إلّا وسبقوهم إليه. وكانت حياة الإمام السجاد (ع) لوحة إيمانية نقية، وقد تحدثنا عنها فى فصل آخر. وقال عنه جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى الشهير: ما رأيت فى أولاد الأنبياء شخصاً كعلى بن الحسين (ع). ثانياً: تربية جيل من العلماء الربانيين الذين ربوا بدورهم علماء وثائرين وعبّاداً صالحين. وهكذا تماوجت تعاليم الإمام عبر النفوس الزكية فى حلقات مترامية كالصخرة العظيمة تُلقى فى بحر واسع.. وكان فى هؤلاء الرجال العرب والموالى،ولكلٍّ قصة وتاريخ. فَدَعْنا نتزود من عبق سيرة حوارى الإمام (ع) الذين كان أكثرهم من التابعين: ألف: كان سعيد بن جبير من أولئك التابعين الذين اقتبس من الإمام زين العابدين (ع) روح الإيمان.. كان مثلاً فى العبادة والإجتهاد كان يسمى بـ (بصير العلماء) ويقرأ القرآن فى ركعتين، وبلغ من علمه أنه اشتهر بين العلماء أنه ما على الأرض أحد إلّا وهو محتاج إلى علمه [۲۹] . واستشهد سعيد على يد طاغية العراق الحجاج. ويقول الإمام الصادق (ع): «إن سعيد بن جبير كان يأتم بعلى بن الحسين، فكان على يثنى عليه. وما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على هذا الأمر، وكان مستقيماً» [۳۰] . ومن خلال حوار ساخن جرى بينه وبين جزار بنى أمية الزنيم نعرف مدى استقامة هذا العالم الربانى. ذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال له: أنت شقى بن كسير. قال: أُمى كانت أعرف بى، سمتنى سعيد بن جبير. وقيل إنه سأله كيف يفضل أن يقتله؟ قال: اختر لنفسك، قال وكيف ذلك؟. قال: لأنه لاتقتلنى بقتلة إلّا وأقتلك بها يوم القيامة. باء: وكان عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى الذى يكنى بـ (أبى إسحاق) من ثقاة الإمام السجاد (ع) وبلغ من عبادته أن قيل عنه لم يكن فى زمانه أعبد منه، حيث كان يختم القرآن فى كل ليلة. وقد صلى اربعين سنة صلاة الفجر بوضوء صلاة العتمة، وكان محدثاً لا أوثق منه فى الرواية عند الخاص والعام [۳۱] . جيم: وكان الزهرى عاملاً فى بلاط الأمويين، فعاقب رجلًا فمات فى العقوبة، فارتاع لذلك فخرج على وجهه هائماً، واعتكف فى غار تسع سنين، فرآه الإمام السجاد (ع) وهو فى طريقه إلى الحج، فقال له: «إنى أخاف عليك من قنوطك مالا أخاف عليك من ذنبك. فابعث بِدِيَةٍ مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك». فقال له: فرّجتَ عنى يا سيدى، الله أعلم حيث يجعل رسالته. ورجع إلى بيته، ولزم على بن الحسين (ع). وكان يعد من أصحابه. ولذلك قال له بعض بنى مروان: يا زهرى . ما فعل نبيك، يعنى على بن الحسين [۳۲] . ومن هذه الرواية نعرف كيف كان الله يهدى الناس بالإمام حتى يصبح عامل بنى أمية من كبار العلماء المعروفين عند كل الفرق الإسلامية كالزهرى. دال: وكان سعيد بن المسيب بن حزن من كبار التابعين الذين ربَّاهم أمير المؤمنين (ع)، والتزم خط آل البيت (ع) حتى كان من صفوة أصحاب الإمام السجّاد (ع). وعنه قال: «سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدم من الآثار» [۳۳] . وقد قال رجل لسعيد يوماً: ما رأيت رجلًا أورع من فلان (وذكر اسم رجل من الناس) فقال له سعيد: فهل رأيت على بن الحسين؟. قال: لا، قال سعيد: ما رأيتُ رجلًا أورع منه [۳۴] . ومثل هؤلاء طائفة كبيرة من كبار علماء الإسلام الذين أخذوا عن الإمام الزهد والتقوى، والتفسير والحكمة والفقه، حتى قال الشيخ المفيد: إنه روى عنه الفقهاء من العلوم مالا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازى والأيام ماهو مشهور بين العلماء.. وقال ابن شهر اشوب: قلّما يوجد كتاب زهد وموعظة لم يذكر فيه: قال على بن الحسين، أو قال زين العابدين (ع) [۳۵] . وكان شديد الإحترام لطلبة العلوم الذين كانوا يتوافدون عليه فى المدينة من أقطار العالم الإسلامى، ويرى أنهم وصية رسول الله (ص).. وكان العلماء يستلهمون من سلوكه الهدى والورع قبل أن يتلقوا من منطقه العلم والمعرفة، ومن لايستلهم نور الله من تلك

الطلعة الربانية، من العين التى تفيض من خشية الله، والجبهة التى عليها ثفنات من أثر السجود، من ذلك اللسان الذى لاينى يذكر الله عزَّ وجلَّ.. وبالتالى من تلك السيرة التى يشع منها نور الله تبارك وتعالى. يذكر عبد الله بن الحسن فيقول: كانت أمى فاطمة بنت الحسين تأمرنى أن أجلس إلى خالى على بن الحسين (ع). فما جلست إليه قط إلاّ قمت بخير قد أفدته، إما خشية لله تَحدث فى قلبى لما أرى من خشيته لله، أو علم قد استفدته منه [۳۶] . وكانت الفتوحات الإسلامية تطوى كل يوم بلداً جديداً، وتضم إلى الجسد الإسلامى عضواً جدياً، ولكنها كانت بحاجة إلى زخم إيمانى يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح فى بوتقة الأُمة الواحدة. وقد تصدى الإمام زين العابدين (ع) وأصحابه وأنصاره لهذه المسؤولية وبسبل شتى. فقد كان شديد الإحترام للموالى، وهم المنتمون إلى سائر الشعوب التى دخلت فى الإسلام، بعد فتح البلاد لها، ولمّا تبلغ من المعارف الإلهية نصيباً كافياً. وكان كثير من الموالى من خيرة أصحاب الإمام (ع). كما كان الإمام يتبع منهجاً فريداً فى زرع القيم الإلهية فى أفئدة ثلة مختارة منهم.. حيث كان يشترى العبيد ويتعامل معهم بأفضل طريقة ثم يُعتقهم ويزوِّدهم بما يوفر لهم الحياة الكريمة، فيكون كل واحد منهم ركيزة إعلامية بين بنى قومه.. ولنقرأ معاً أخلاق الإمام فى تعامله مع مواليه قبل أن نعرف كيف كان يعتقهم، فإن تلك الأخلاق الحسنة كانت مدرسة عملية لهم إلى جانب التوجيه المباشر. روى عن عبد الرزاق (أحد الرواة) أنه قال: جعَلت جارية لعلى بن الحسين (ع) تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه. فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية: إنّ الله يقول: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ] (آل عمران/۱۳۴) قال: كظمت غيظى، قالت: [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] (آل عمران/۱۳۴) قال لها: عفا الله عنك، قالت: [وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]، (آل عمران/۱۳۴) قال: اذهبى فأنت حرّة لوجه الله عزَّ وجلَّ [۳۷] . هكذا كان يتعامل مع الرقيق الذين اعتبرهم بعض الناس ذلك اليوم ان لهم طبيعة غير طبيعة الإنسان، فكيف لا يؤثر فيهم ذلك الخلق الرفيع؟. ويروى بعضهم القصة التالية التى تعكس مستوىً رفيعاً من الصفح والسماحة والإيثار، تقول الرواية: كان عنده (ع) قوم أضياف، فاستعجل خادماً له بشواءٍ كان فى التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بُنَىٍّ لعلى بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علىٌّ للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: «أنتَ حرٌّ، فإنك لم تعتمده»، وأخذ فى جهاز ابنه ودفنه [۳۸] . وكان له مولى يتولّى عمارة ضيعة له، فجاء فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً. فغاظه ما رأى من ذلك وغمّه، فقرع المولى بسوطٍ كان فى يده وندمَ على ذلك، فلما انصرف إلى منزله أرسل فى طلب المولى فجاء فوجده عارياً والسوط بين يديه، فظنّ أنّه يريد عقوبته، فاشتد خوفه، فقال له على بن الحسين: «قد كان منى إليك مالم يتقدَّم منى مثلُه، وكانت هفوة وزلَّة، خذ ذلك السوط واقتصَّ منى». فقال: يا مولاى والله إن ظننت إلاّ أنّك تريد عقوبتى، وأنا مستحق للعقوبة. فكيف اقتصُّ منك؟! قال: «ويحك اقتصّ»؟ قال: معاذ الله أنتَ فى حلٍّ وسعة، فكرَّر عليه ذلك مراراً والمولى يتعاظم قوله ويجلله، فلما لم يره يقتص قال له: «أمّا إذا أبيتَ فالضيعة صدقة عليك» [۳۹] . هذه نماذج من الخلق الكريم الذى اتّسَم به سلوك الإمام (ع) مع الموالى. وقد كان أسلوب عتق الإمام لهم متميزاً يرويه التاريخ بجلال وإعجاب. فقد روى ابن طاووس فى كتاب شهر رمضان المعروف بالإقبال، بسنده عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: كان على بن الحسين (ع) إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له، ولا أَمَة. وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه. فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤذك أتذكر ذلك؟ فيقول بلى يابن رسول الله. حتى يأتى على أخرهم ويقررهم جميعاً ثم يقوم وسطهم ويقول: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا على بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلَّ ما عملت كما أحصيت علينا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها وتجد كلَّ ما عملت لديه حاضراً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، وهو ينادى بذلك على نفسه ويلقنهم وينادون معه وهو واقف بينهم يبكى ويقول: «ربَّنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنَّا فإنك أولى بذلك منّا ومن المأمورين. إلهى كرمت فأكرمنى إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطنى بأهل نوالك يا كريم». ثم يقبل عليهم فيقول قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عنى ما كان منى إليكم من سوء ملكة فإنى مليك سوء لئيم ظالم مملوك

لمليـك كريم جواد عـادل محسن متفضـل؟. فيقولون: قـد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت. فيقول لهم قولوا: اللهم اعف عن على بن الحسين كمـا عفـا عنَّا وأعتقه من النـار كمـا أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين ربَّ العالمين، اذهبوا فقـد عفوت عنكم وأعتقت رقـابكم رجـاء للعفو عنى وعتق رقبتى. فـإذا كـان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما فى أيـدى الناس. وما من سـنة إلّا وكان يعتق فيها فى آخر ليلة من شـهر رمضان ما بين العشرين نفساً إلى أقل أو أكثر. وكان يقول: إن لله تعالى فى كل ليلة من شـهر رمضان عنـد الإفطار سـبعين ألف عتيق من النار، كُلًّا قـد اسـتوجب النار. فإذا كان آخر ليلة من شـهر رمضان أعتق فيها مثلما أعتق فى جميعه. وإنى لأحب أن يرانى الله وقد أعتقت رقاباً فى ملكى فى دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتى من النار. وما اسـتخدم خادماً فوق حول. وكان إذا ملك عبداً فى أول السـنة أو فى وسط السـنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم فى الحول الثانى ثم أعتقوا كذلك. ولقد كان يشترى السودان وما به إليهم من حاجة، يأتى بهم عرفات فيسد بهم تلك الْفُرج فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال.

دور الإمام فى الاعلام الرسالى

اشاره

الإعلام الرسالى هو الجهر بالقيم التى يدعو إليها الوحى. ولعل الكلمة المرادفة له فى المنطق الإسلامى «الأذان». وإذا كانت الدعوة إلى الله هى الركيزة الأولى لرسالات الله، فإن الإعلام جانب أساسى منها. ولقد كانت واقعة الطف الرهيبة الفجيعة واحدةً من أعظم الإثارات الإعلامية. أولم يقل السبط الشهيد أنا قتيل العبرة؟. أولم يتواتر عن أئمة أهل البيت (ع) فضلُ البكاء على الحسين (ع) وزيارة قبره، والدعاء تحت قبته؟. وهذا الدور الإعلامى الذى كان الهدف من استشهاد الإمام الحسين (ع) اضطلع به الإمام زين العابدين (ع)، ومعه البقية العائدة من كربلاء، وبالذات عقيلة الهاشميين زينب الكبرى (ع). وبقى الإمام (ع) خمساً وثلاثين سنة قائماً بهذا الدور حتى رسَّخ فى ضمير الأمة قواعدَ الإعلام الحسينى المبارك على النحو التالى: ألف: كان أول وأعظم هدف لوسائل الإعلام الحسينى، إظهار الجانب المأساوى لواقعة الطف، لتبقى راسخة فى ضمير الأجيال المتصاعدة، ولتكون شعلة متقدة فى أفئدة المؤمنين، تستثير فيهم حوافز الخير والفضيلة، وتدعوهم إلى الإجتهاد والإيثار، وليقولوا على مدى العصور: يا ليتنا كنَّا معك فنفوز فوزاً عظيماً، وليكونوا أبداً جنود الحق المتفانين فى سبيل الله لكى لا ـ تتكرر فاجعة الطف مرة أخرى؛ أو ليكونوا. إذا وقعت مشاركين فيها بسهم واق، ومدافعين عن الحق بكل قواهم. ومن هنا نجد الإمام زين العابدين (ع) واحداً من البكّائين الخمسة فى عداد آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. لقد بقى باكياً بعد واقعة الطف ثلاثاً وثلاثين عاماً، ما وُضع أمامه طعام إلّا وخنقته العبرة وقال: لقد قتل ابن بنت رسول الله جائعاً، فإذا جيء إليه بشراب انهالت دموعه فيه وقال: لقد قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً. وإذا مرّ على جزّار استوقفه وسأله: هل سقى الشاة ماءً، ثم طفق يبكى ويقول: لقد قتلوا سبط رسول الله ظامئاً على شط الفرات. وقد ضج لبكائه مواليه وأهل بيته. قال له أحد مواليه مرة: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنى أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو حزنى إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون. إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلّا خنقتنى العبرة [۴۰] . باء: ولم يكن البُكاء الرسالة الوحيدة التى حملها الإمام زين العابدين (ع) إلى التاريخ، فقد كانت رسالة الكلمة الثائرة هى المشكاة الصافية التى تشع من خلالها رسالة الكلمة. فمنذ الأيام الأولى لملحمة كربلاء عملت كلماتُ آل البيت (ع) وفى طليعتهم الإمام السجاد والصديقة زينب الكبرى (ع) فى هدم جدار الصمت والتردد والخوف، فى الكوفة، وفى الشام، ثم فى المدينة المنورة. وحينما فرّق عامل يزيد «الأشدق» أهل البيت فى البلاد الإسلامية خشية انتفاضة أهل المدينة حسب بعض الروايات التاريخية، رُفِعَ لظُلامة الحسين (ع) فى كل حاضرة منبر وجهاز إعلامى مقتدر. ومن أشهر خطب الإمام (ع) تلك الرائعة التى أوردها فى مسجد الشام، والتى تحتوى على منهاج المنبر

الحسينى الـذى لو اتَّبعنـاه، لكان أبلغ أثراً وأنفـذ فى أفئـدة الناس. وها نحن نتـدبر فى مفردات هـذا المنهـج قبل أن نسـتوحى معاً نص الخطـاب: ألف: حـدد الإمـام أهـداف المنبر إذ قـال للخـاطب الـذى سـبقه إلى المنبر: اشتريت مرضـاة المخلوق بسـخط الخـالق، فتبوَّأ مقعـدك من النار.. وتوجه إلى يزيـد وقال له: أتأذن أن أصـعد هـذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله رضاً ولهؤلاء الجلساء نفع وثواب. إذاً لابد أن تكون توجيهات الخطيب خالصة لوجه الله، وأن يبحث عما يرضى الله، حتى ولو أسخط الطغاة، وأن ينطق بما ينفع الناس لا بما يضـرهم. باء: ثم بدأ الحديث بذكر الله سبحانه، وحذَّر الناس عقابه، وذكَّرهم بالموت والفناء، ولا أبلغ من الموت موعظة ولا من الفناء رادعاً. وجـاء فى بعض الروايـات أن النـاس قـد أجهشوا بالبكـاء عنـدما أكمل الإمام (ع) حـديثه عن الآخرة، مما جعل قلوبهم خاشـعة تسـتقبل ما بيَّنه بعدئذ من البصائر السياسية. جيم: وبيَّن الإمام (ع) خطه السياسى الأبلج الذى ينتهى إلى سيد المرسلين محمد وأهل بيته المعصومين (صلَّى الله عليه وعليهم اجمعين)، وأسـهب فى بيـان صـفاتهم التى هى المثـل الأعلى فى اليقين والإستقامة والجهاد. دال: وأشـهر الإمام (ع) ظُلامة السبط الشهيد، وحملها راية حمراء تدعو الضمائر الحرة إلى الجهاد من أجل الله وفى سبيل نصرة المظلومين.. وهـذه هى أشـد محاور المنبر الحسـينى: إثارةً للعواطف وتهييجا لكوامن الحزن والأسـى. هاء: وبعد أن أمر يزيد بأن يقطع عليه المؤذن حديثه لم يترك الإمام (ع) المنبر كما كان معهوداً، وإنما اسـتوقفه عند الشـهادة الثانية وحمّل يزيد مسؤولية قتل والده، مما يعنى – فى لغة العصـر – وضع النقاط على الحروف. فلا يكفى للخطيب الحسـينى أن يشير من بعيد إلى الحقائق السياسـية، بل لابد أن يصرّح بها بوضوح حتى يتبصـر الناس وتتم الحجة عليهم. وهكـذا اسـتطاع الإمام السـجاد (ع) عبر هذا المنهاج الرائع أن يزلزل عرش يزيد زلزالاً حتى تنصَّل من جريمته النكراء، وتوجه إلى الجماهير الغاضـبة التى كادت تبتلعه قائلاً: أيها الناس، أتظنون أنى قتلت الحسـين، فلعن الله مَن قتله عبيـد الله بن زيـاد عاملى بالبصـرة [۴۱] . امـا خطاب الإمام (ع) الـذى ينبغى أن يُتخـذ مثلاً للخطَب الحسـينية، فهو التالى: «أيها الناس أحـذركم الدنيا وما فيها، فإنها دار زوال، قد أفنت القرون الماضـية، وهم كانوا أكثر منكم مالاً، وأطول أعماراً. وقد أكل التراب جسومهم، وغيَّر أحوالهم. أفتطمعون بعدهم، هيهات هيهات، فلابد من اللحوق والملتقى. فتدبَّروا ما مضـى من عمركم وما بقى، فافعلوا فيه مـا سوف يلتقى عليكم بالأعمـال الصالحة قبل انقضاء الأجل وفروغ الأمل، فعن قريب تؤخـذون من القصور إلى القبور، وبأفعالكم تحاسـبون. فكم – والله – من فاجرٍ قـد اسـتكملت عليه الحسـرات، وكم من عزيز قد وقع فى مهالك الهلكات، حيث لا ينفع الندم، ولا يُغات من ظَلم.. ووجـدوا ما عملوا حاضـراً ولا يظلم ربُّك أحداً [۴۲] . قالوا: فضـج الناس بالبكاء لبالغ أثر مواعظه فى أنفسـهم ثم قال: «أيها الناس، أُعطينا ستّاً وفُضِّلنا بسـبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة فى قلوب المؤمنين. وفُضِّلنا بأن منَّا النبيَّ المختار محمـداً، ومنّا الصـدّيق، ومنّا الطيار، ومنّا أسـد الله وأسـد رسوله، ومنّا سـبطا هـذه الأمة. مَن عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أنبأته بحسبى ونسبى. أيهـا الناس! أنا ابن مكـة ومنى، أنا ابن زمزم والصـفا، أنا ابن مَن حَمل الرُّكن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتـدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسـعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبَّى، أنا ابن من حُمل على الْبُراق فى الهواء، أنا ابن من أُسرى به من المسـجد الحرام إلى المسـجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسـين أو أدنى، أنا ابن من صـلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن على المرتضـى، أنا ابن من ضـرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله. أنا ابن مَن ضـرب بين يدى رسول الله بسيفَين، وطعن برمحَين، وهاجر الهجرتَين، وبايع البيعَتين وقاتل ببـدر وحنَين، ولم يكفر بالله طرفـة عَين. أنا ابن صالـح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحـدين، ويعسوب المسـلمين، ونور المجاهـدين وزين العابـدين، وتـاج البكـائين، وأصبر الصابرين، وافضل القائمين من آل ياسـين رسول رب العـالمين. أنـا ابن المؤيـد بجبرئيـل، المنصور بميكائيـل، أنـا ابن المحـامى عن حرم المسـلمين، وقاتـل المـارقين والنـاكثين والقاسطين، المجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشـركين، وسـهم من مرامى الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصـر دين الله، وولى أمر الله، وبسـتان حكمة الله، وعيبة علمه. سـمحٌ، سخيٌّ، بهيٌّ، بهلولٌ، زكيٌّ، أبطحيٌّ، رضيٌّ، مقدامٌ، همامٌ، صابرٌ، صوام، مهذبٌ، قوامٌ، قاطعُ

الأصلاب، ومفرقُ الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جَناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنَّة وقربت الأعنَّة طحن الرحا، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكيٌّ مدنيٌّ خيفيٌّ عقبيٌّ بدريٌّ أحديٌّ شجريٌّ مهاجريٌّ. من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعَرين وأبو السبطَين: الحسن والحسين، ذاك جدى على بن أبي طالب. ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء... فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد (لعنه الله) أن يكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام. فلما قال المؤذن: الله أكبر قال على: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال على بن الحسين: شهد بها شعرى وبشرى ولحمى ودمى، فلما قال المؤذن: اشهد أن محمداً رسول الله، التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدِّى أم جدُّك يا يزيد؟. فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدى فَلِمَ قتلتَ عِترَته؟ قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة وتقدم يزيد فصلَّى صلاة الظهر» [۴۳] .

الدعاء مدرسة و منبر

لقد بعث الله تعالى إلينا رسالته، ترى كيف نستجيب له. ونرد إلى ربّنا الرحمن التحية؟. نردُّها بالدعاء. فإنه منهج حديث العبد مع ربِّه عزَّ وجلَّ، كما أن الوحى ذروة حديث الرب مع عباده. والدعاء مخ العبادة، ولباب التواصل، وجوهر الصلاة. وكل دعاء حميد إلّا أن الله تعالى أنعم علينا بأن هدانا لتعلم أدعية أوليائه، وبما أورثنا من أدعية النبىِّ وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام. ويبدو أنها جميعاً أدعية تَوارثها عباد الله من الأنبياء، ومن ثم من الوحى الإلهى؛ أولا أقل هى تجليّات الوحى على أفئدة الهداة من عباد الله المقرَّبين، وانعكاسٌ لمعارف الوحى على قلوبهم الزكية وألسنتهم الصادقة. فالأدعية المأثورة - إذاً - هى الوجه الآخر للوحى، وهى ظلاله الوارفة، وأشعته المنيرة، وتفسيراته وتأويلاته. وهكذا كانت الأدعية كنوز المعارف الربانية، وتلاد الحكم التى لاتنفذ، وفى طليعتها أدعية الصحيفة السجادية التى جمعت من كلمات الإمام زين العابدين (ع). فإلى ماذا كان يهدف الإمام من تلك الأدعية؟. لا ريب أنها كانت شعاعاً من قلبه المنير بالإيمان، وفيضاً من فؤاده المتقد بحب الله، وكانت كلماتُها تتزاحم على شفاه رجل كاد يذوب فى هيام ربِّهِ، ولم تكن تَكَلُّفاً منه. بلى، قد حققت أهدافاً عديدة أبرزها تعليم عباد الله كيف يدعون ربَّهم العظيم، وكيف يتضرعون إليه، ويتحببون إليه، ويلتمسون رضاه. ويتوافون على أسمائه الحسنى.. وكيف يطلبون منه حوائجهم، وماذا يطلبون؟. وهذا الهدف الربانى تفرّع بدوره إلى عدة أمور حياتية يذكرها المؤرخون عادةً عند بيان حكمة الصحيفة السجادية، ونحن نشير إليها باختصار شديد. أ: أن الضغوط كانت بالغة الشدة فى عهد الإمام السجَّاد (ع) إلى درجة أن عقيلة الهاشميين زينب الكبرى (ع) أصبحت لفترة، وسيطة فى شؤون الإمامة بين الإمام والمؤمنين. وفى مثل تلك الظروف العصيبة كان من الطبيعى أن يبث الإمام بصائر الوحى وقيم الرسالة عبر الأدعية التى مشت فى الأمة ولا تزال كما يمشى الشذى عند نسيم عليل!! ب - والإمام كثائر ربانى لم يدع معارضة الطواغيت والوقوف بوجه الفساد الذى أوجدوه بسبب الظروف الصعبة، بل عارضهم بالأدعية التى لم تستطع أجهزة النظام برغم قوتها صد الإمام عنها. وهكذا أتم الله سبحانه الحجة علينا، كى لاندع الوقوف بوجه الطغاة بأية وسيلةٍ ممكنة، حتى فى أشد العصور إرهاباً وقمعاً. ج: وكانت الأدعية - إلى ذلك - وسيلة تربية الناس على التقوى والفضيلة والإيثار والجهاد وذلك بما تضمنت من مفاهيم متسامية، ومواعظ ربانية، فكان النخبة من أبناء الأمة يتغذون عليها كما يتغذى النبات الزاكى من أشعة الشمس. فإن حركات المعارضة تحتاج إلى زخم ثورى يدفع أبناءها قُدُماً فى طريق المعارضة كالنشرات السرية والجلسات الخاصة، والشعارات والبيانات، فإن تلك الصحف المطهرة كانت غذاءً رساليّاً لتلك النخبة المؤمنة فى مواجهة النظام الأموى. ولا تزال أدعية الإمام (ع) التى جمعت فى الصحيفة السجادية، لاتزال هذه الأدعية ذلك الزخم الإيمانى الذى يوفر لنا الروح الإيمانية فى الأيام العصيبة. ولا أظن - بعد القرآن - أنَّ كتاباً يكون تسلية لفؤاد المحرومين، وثورة فى دماء المستضعفين، ونوراً فى افئدة المجاهدين وهدى على طريق الثائرين كالصحيفة السجادية، فسلام الله على تلك النفس الزكية التى فاضت بها، وسلام الله على من تبتل بها مع كل صباح ومساء.

الشعر منبر سيار

تناغم الحياة ينعكس فى ضمير الإنسان بحبك أوزان الشعر ومعانيه البديعة. وكانت العرب فى الجاهلية وفى العصور الإسلامية الأولى، بالغة الإهتمام بالشعر. وقد مدح ربُّنا سبحانه فى سورة الشعراء أولئك المؤمنين منهم الذين ينتصرون للمظلوم. وقد اهتم أئمة الهدى (ع) بالشعر كمنبر سيار يمشى بين الناس بانسياب. كما أن الطغاة بدورهم استخدموا الشعراء مطية لإعلامهم المضلّل. وقد قيل إن الإمام زين العابدين (ع) نظم الشعر. واشهر ما ينقل عنه تلك الرائعة التى يقول فيها: نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها فى الأنام كاظمنا عظيمة فى الأنام محنتنا أولنا مبتلى و آخرنا يفرح هذا الورى بعيدهمُ و نحن أعيادنا مآتمنا والناس فى الأمن والسرور، وما يأمن طول الزمان خائفنا وما خصصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا يُحْكَم فينا، و الحكم فيه لنا جاحدُنا حقَّنا و غاضبنا [۴۴] . ونسب إليه ابن شهر اشوب فى المناقب قوله: لكم ما تدَّعون بغير حَقٍّ إذا مِيز الصحاحُ من الْمِراضِ عرفتمْ حقَّنا فجحدتمونا كما عرف السواد من البياضِ كتابُ الله شاهدُنا عليكم وقاضينا الإله، فنعم قاض [۴۵] . أما تأييده للشعراء المدافعين عن الحق، فنعرفه من خلال قصة مع الفرزدق الذى كان محسوباً على بلاط الأمويين، إلاّ أنه كان ينتمى تاريخيّاً إلى البيت العلوى. فلما وجد فرصة فاضت قريحته بالرائعة المعروفة. فلما غضب عليه هشام بن عبد الملك والسلطة الأموية واعتقل، بادر الإمام بجائزته. وبقى إلى آخر حياته يعيش فى ظل الإمامة الإسلامية حسبما يذكر بعض المؤرخين. أما رائعته وقصتها. فهى التالية: رواها السبكى فى طبقات الشافعية بسند متصل إلى ابن عائشة عبد الله بن محمد عن أبيه، قال: حج هشام بن عبد الملك فطاف بالبيت فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه فلم يقدر عليه، فنُصب له منبرٌ وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام، إذ أقبل على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر تنحّى له الناس حتى يستلمه، فقال رجل من أهل الشام مَن هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟. فقال: هشام لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق: ولكنى أعرفه. قال الشامى: من هو يا أبا فراس؟. فقال الفرزدق (وقد توافقت روايتا سبط ابن الجوزى والسبكى إلاّ فى أبيات يسيرة، وهذا ما ذكراه): هذا الذى تَعرف البطحاءُ وطأتَهُ و البيت يعرفه و الْحِلُّ و الحَرمُ هذا ابنُ خير عبادِ الله كُلِّهمُ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ يكادُ يَمْسِكُه عِرفانُ راحَتِهِ ركنُ الحطيم إذا ما جاءَ يَستلمُ إذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائِلُها إلى مَكارمِ هذا يَنتهى الكرَمُ إنْ عُدَّ أهلَ التُّقى كانوا ذوى عددٍ أو قيل مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ هُمُ هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ بِجَدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا وليسَ قولُك مَنْ هذا بِضائِرِهِ أَلْعُرْبُ تَعرف مَن أنكرتَ والعجَمُ يُغضى حَياءً ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَمَا يُكلَّمُ إلاّ حينَ يَبتسمُ يُنْمَى إلى ذروةِ العزِّ التى قَصُرَتْ عنها الأكفُّ وعن إدراكِها القدَمُ من جدَّه دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأممُ ينشقُّ نورُ الهدى عن صَبْحِ غُرَّتِهِ كالشمس تَنْجابُ عن إشرافِها الظُّلَمُ مشتَقَّةٌ من رسولِ الله نبعتُه طابتْ عناصرُه والْخيمُ والشِّيَمُ الله شرَّفَهُ قِدْماً وفضَّله جرى بذاك له فى لوحِهِ القَلَمُ كِلتا يَديهِ غياثُ عمَّ نفعُهما يَستوكَفانِ ولا يَعروهما العدَمُ سهلُ الخليقةِ لا تُخشى بوادرهُ يَزينه اثنانِ حُسْنُ الْخُلقِ والكرَمُ حمَّالُ أثقالِ أقوام إذا فُدِحوا رحبُ الفِناء، أريبٌ حين يَعتزمُ ما قال: لا، قطُّ إلاّ فى تشهّدِهِ لولا التشهدُ كانتْ لاؤه نَعَمُ عَمَّ البريةَ بالإحسان فانقشعتْ عنه الغَيابةُ لا هلقٌ ولا كَهَمُ مِنْ مَعشرٍ حبُّهمْ دين، وبُغضُهُمُ كفرٌ، وقربهمُ ملجاً ومُعْتَصَمُ لا يَستطيع جوادٌ بَعْدَ غايتِهم ولا يُدانيهمُ قومٌ وإن كَرُمُوا همُ الْغُيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ والأسْدُ أُسدُ الشرى والرأى مُحْتَدِمُ لا يُنقص العسرُ بَسْطاً من أَكُفِّهِم سِيَّانِ ذلك إن أَثْرَوْا وإنْ عُدِمُوا يَستدفع السوءُ والبلوى بِحُبِّهِمْ ويُستربُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ مَقَدَّمٌ بعدَ ذِكرِ الله ذِكْرُهُمُ فى كلِّ بَدْءٍ، ومَختومٌ بِهِ الْكَلِمُ يَأبَى لهمْ أن يَحُلَّ الذمُّ ساحتَهم خيمٌ كريمٌ، وأيدٍ بالنَّدى هُضُمُ أىُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابهمُ لأَوَّلِيَّةِ هَذا أولُهُ نَعَمُ مَن يَعْرِفِ الله يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذا أَلدِّيْنَ مِنْ بَيْتِ هَذا نَالَهُ الأُمَمُ هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فبعث إليه على بألف دينار فردها وقال: إنما قلت ما قلت غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً. فقال على: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما أعطينا، فقبلها الفرزدق وهجا هشاماً فقال: أَيحسبنى بين المدينة والتى إليها قلوبُ الناس يَهوى مُنِيبُها يُقَلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّدٍ وعَيناً له حولاءَ

بادٍ عُيوبُها فأَخبر هشامُ بذلك فأطلقه. ولكنه قطع راتبه من الديوان، وكان ألف دينار سنويّاً، فاشتكى إلى الإمام فأعطاه أربعين ألف دينار وقال له: لو كنت تحتاج إلى أكثر لأعطيتك. فعاش الفرزدق أربعين عاماً ثم مات رحمه الله تعالى.

رسالة الحقوق

يبحث بعض الناس عن الدرجات العلى في الإيمان ويتساءلون: كيف نجتهد حتى نصبح مؤمنين حق الإيمان؟. لمثل هؤلاء كتب الإمام زين العابدين (ع) رسالة الحقوق التي تشرح واجبات المؤمن ومسؤولياته تجاه الخالق والناس، وتحدِّد - بالتالي - طبيعة العلاقة القائمة على أسسٍ متوازنةٍ وعادلةٍ، وقد استهلّت الرسالة بما يلي: «إعلم - رحمك الله - أن لله عليك حقوقاً محيطةً بك في كل حركة تحرَّكتها، أو سكَنة سكَنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلَّبتها، أو آلة تصرفت بها؛ بعضُها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك نفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل لأفعالك عليك حقوقا: لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصَدَقتك عليك حقّاً، ولهدْيك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً. ثم تُخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجَبُها عليك حقُّ أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رَحِمك» [۴۶] . ويستمر الإمام (ع) في بيان هذه الحقوق وفروعها، ويبيِّن من خلالها العلاقة المثلى بين الانسان وبين الخلق والخالق. وسوف نستوحي من دراسة رسالة الحقوق البصائر التالية: أولًا: أن حديث الإمام (ع) كان موجهاً للصفوة من أهل الإيمان، الذين نشروا الكمال وسعوا إليه سعيه، لذلك تجد الحقوق المذكورة في هذه الرسالة تجمع بين الحقوق الواجبة والأخرى المندوبة. بل إن أكثرها من النوع الثاني. ثانياً: إن هذه الرسالة وأمثالها مما نجده عند أئمة أهل البيت (ع) في صيغة رسائل أو وصايا مفصَّلة، والتي جمعها العالم الكبير الحسن بن علي بن شعبة الحلبي في كتابه الفذ (تحف العقول) كانت بمثابة دروس مركَّزة في التربية الرسالية توارثها الصالحون من أولياء أهل البيت (عليهم السلام) بهدف بناء القدوات المثلى والطليعة المتميزة من أبنائهم ليكونوا شهداء على الناس. وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى العودة إليها في مناهج التربية، وبالذات في الحوزات العلمية التي هي الامتداد الرسالي لخط أهل البيت النبوي (ع). ثالثاً: إن هذه الرسالة تحافظ على توازن الشخصية الإيمانية وتصونها من التطرف نحو جانب من الشريعة وإهمال سائر الجوانب؛ فلابد أن تتسع صدورنا لكافة أبعاد الشريعة، وضمن برامج محددة نجدها في مثل رسالة الحقوق. وكلمة أخيرة: إن هذه الرسالة تعكس البصيرة القرآنية ذات الشمول والعمق والدقة التي تتناسب ومقام الإمامة لسيد الساجدين (ع)، والتي يعجز عن مثلها أي فقيه أو عالم إن لم يكن متصلًا برافد الرسالة الذي لا ينضب. فسلام الله على من أرسلها، وبارك الله لمن استجاب لها.

كراماته و شهادته

استفاضت كتب الأثر بالحديث القدسي الذي ينطق عن ربِّ العزة بالقول: «عبدي أطعني تكن مثْلي (أو مَثلي) أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون». وكتاب الله العزيز حافل بأمثلة واقعية من تاريخ الأنبياء والصالحين الذين استجاب الله دعاءهم بما أعجز الناس. أليس طوفان نوح وسفينته، ونيران إبراهيم التي جعلها الله تعالى برداً وسلاماً، وعصا موسى التي ألقاها فجعلها الله ثعباناً مبيناً، وحديث عيسى في المهد صبيّاً، واستجابة دعاء إبراهيم ثم زكريا حينما رزقهما الله أولاداً وقد بلغا من الكبر عتيّاً. أليس كل ذلك من كرامة الله لأوليائه المخلصين؟. فلماذا يصعب على البعض تصديق كرامات أولياء الله الآخرين، كما يصدقون بكرامات أولياء الله السابقين؟. أوليس الحديث النبوي الشريف يقول: «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل»؟. فكيف تصدق المعجزة على عهد بني إسرائيل بنص القرآن، ولا تأتي الكرامة على يد أهل بيت الرسول؟. وهذا علي بن الحسين (ع)، الذي قرأنا معاً بعض صفاته، أَيعزُّ على الله

سبحانه أن يجرى على يدَيه الكرامات؟ ومَن أولى بها ممن كان على مثل تلك الصفات، قوَّامَ الليل، صوَّام النهار، بكّاءً، سجّاداً، إلخ... ونحن إذ نقتطف من تاريخه (ع) نزراً يسيراً من كراماته، فلكى نزداد يقيناً بأن ربَّنا سبحانه يستجيب دعوة المخلصين من عباده الذين جأروا إليه بكل كيانهم وأبعاد وجودهم.. ثم نزداد للأئمة من أهل البيت (ع) حبّاً، فإن حُبَّهم نجاةٌ من النار ووسيلةٌ إلى الله عزَّ وجلَّ. ١- من كراماته (ع)، أن الله ألهمه من علمه عبر رؤيا شاهد فيها رسول الله (ص)، ما أظهر كرامته وفضله. والقصة كما يلى: روى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «لمّا وُلِّيَ عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف. أما بعد: فانظر دماء بنى عبد المطلب فاحقنها واجتنبها، فإنى رأيت آل ابى سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلاً، والسلام. قال: وبعث بالكتاب سرّاً. وورد الخبر على على بن الحسين (ع) ساعة كتب الكتاب وبعث به إلى الحجاج، فقيل له: إنّ عبد الملك قد كتب إلى الحجاج كذا وكذا، وإن الله قد شكر له ذلك، وثبَّت ملكه وزاده برهة. قال: فكتب على بن الحسين (ع): بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من على بن الحسين بن على. أما بعد: فإنك كتبت يوم كذا وكذا، من ساعة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بكذا وكذا. وإن رسول الله (ص) أنبأنى وخبَّرنى. وإن الله قد شكر لك ذلك وثبَّت ملكك وزادك فيه برهة. وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على بعيره، وأمره أن يوصله إلى عبد الملك ساعة يقدم عليه. فلما قدم الغلام أوصل الكتاب إلى عبد الملك، فلما نظر فى تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التى كتب فيها إلى الحجاج، فلم يشك فى صدق على بن الحسين (ع) وفرح فرحاً شديداً، وبعث إلى على بن الحسين (ع) بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سرَّه من الكتاب» [۴۷] . ٢- وكذلك قصته مع أبى خالد الكابلى، ويرويها الإمام الباقر (ع) كالتالى: «كان أبو خالد الكابلى يخدم محمد بن الحنفية دهراً (وهو ابن الإمام على، وعم الإمام السجاد عليهما السلام). وما كان يشك فى أنه إمام حتى أتاه ذات يوم، فقال له: جعلت فداك إن لى حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) إلاّ أخبرتنى أنت الإمام الذى فرض الله طاعته على خلقه؟. قال: فقال: يا أبا خالد حلّفتنى بالعظيم. الإمام علىٌّ بن الحسين (ع) عَلَيَّ وعلَيك وعلى كلِّ مسلم. فأقبل أبو خالد لَمَّا أن سمع محمد ابن الحنفية، وجاء إلى على بن الحسين (ع) فلما استأذن عليه أُخبر أن ابا خالد بالباب، فأذن له. فلما دخل عليه ودنا منه، قال: مرحباً يا كنكر. ما كنت لنا بزائر ما بد لك فينا؟. فخر أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من على بن الحسين (ع)، فقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى عرفت إمامى. فقال له على (ع): وكيف عرفت إمامك يا ابا خالد؟. قال: إنك دعوتنى باسمى الذى سمَّتنى به أمى التى ولدتنى. وقد كنت فى عمياء من أمرى، ولقد خدمت محمد ابن الحنفية عمراً من عمرى ولا أشك أنه إمام، حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله تعالى وحرمة رسوله (ص) وبحرمة أمير المؤمنين (ع) فأرشدنى إليك، وقال: هو الإمام عَلَيَّ وعلَيك وعلى جميع خلق الله كلهم. ثم أذنت لى فجئت فدنوت منك وسمَّيتنى باسمى الذى سمَّتنى أمى، فعلمت أنك الإمام الذى فرض الله طاعته عَلَيَّ وعلى كلِّ مسلم» [۴۸] . ٣- ويذكر الشيخ الطوسى القصة التالية أيضاً: خرج على بن الحسين (ع) إلى مكة حاجّاً حتى انتهى إلى واد بين مكة والمدينة، فإذا هو برجل يقطع الطريق، قال: فقال لعلى إنزل. قال: تريد ماذا؟. قال: أريد أن أقتلك وآخذ ما معك. قال: فأنا أُقاسمك ما معى وأُحِلُّك. قال: فقال اللص: لا. قال: فدع معى ما أتبلّغ به. فأبى. قال: فأين ربك؟. قال: نائم. قال: فإذا أَسَدانِ مُقبلان بين يَديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجلَيه. قال: زعمتَ أنّ ربك عنك نائم [۴۹] . ۴- ومن كراماته صلوات الله وسلامه عليه، ما ظهر عند وفاته. فلقد توفى الإمام بعد أن دس إليه الأمويون السم فى عام (۹۴) فى شهر محرم فى اليوم الخامس والعشرين، وقيل فى اليوم الثامن عشر. وفى تلك السنة توفى طائفة من الفقهاء حتى سميت سنة الفقهاء. ولست استبعد أن يكون النظام الأموى فى عهد الوليد بن عبد الملك قد دس السم إلى المعارضين وفيهم كبار الفقهاء من أمثال سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير. وجاء فى التواريخ أنه توفى فى تلك السنة عامة فقهاء المدينة [۵۰] . وهل يعقل أن يموت كل الفقهاء فى سنة واحدة صدفةً، علماً بأن المعروف أن الإمام السجاد (ع) استشهد متأثراً بالسم الذى دسه إليه عبد الملك بن مروان فى ظروف غامضة. وكيفما كان الأمر فقد ظهرت عند وفاته كرامات منه (ع)، فقد أُغمى عليه فبقى ساعة ثم رفع عنه الثوب ثم قال:

«الحمـد لله الذی أورثنا الجنة نتبوَّأ منها حیث نشاء فنعم أجر العاملین» ثم قال: «احفروا لی (قبراً) وابلُغوا إلی الرسخ (الثابت من الأرض) ثم مـد الثوب علیه فمات» [۵۱] . وظهرت بعـد وفاته الکرامهٔ التی ینقلها سـعید بن المسیّب، وبها نختم هذه الصـفحات المشرقهٔ بحیاهٔ الإمام زین العابـدین (ع). فقد روی عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهری، عن سـعید بن المسیب، وعبد الرزاق، عن معمر، عن علی بن زید قال: قلت لسـعید بن المسیب إنک أخبرتنی أن علی بن الحسین النفس الزکیهٔ وأنک لا تعرف له نظیراً؟. قال: کذلک، وما هو مجهول ما أقول فیه. والله ما رؤی مثله. قال علی بن زید: فقلتُ: والله إنّ هذه الحجهٔ الوکیدهٔ علیک یا سعید فلم لم تصلِّ علی جنازته؟. فقـال: إنّ القرّاء کانوا لایخرجون إلی مکـهٔ حتی یخرج علی بن الحسـین (ع). فخرج وخرجنا معه ألف راکب، فلمّا صـرنا بالسـقیا نزل فصـلّی وسـجد سـجدهٔ الشـکر.. وفی روایـهٔ الزهری، عن سعید بن المسـیب قـال: کـان القوم لایخرجون من مکـهٔ حتی یخرج علی بن الحسـین سـید العابدین. فخرج (ع) فخرجت معه فنزل فی بعض المنازل فصـلَّی رکعتین فسبَّح فی سـجوده، فلم یبق شـجر ولا مدر إلاّ سبَّحوا معه، ففزعنا. فرفع رأسه وقال: یا سـعید أفزعت؟ قلت: نعم یابن رسول الله. فقال: هذا التسبیح الأعظم. حدثنی أبی عن جدی عن رسول الله (ص) أنه قال: لا تبقی الـذنوب مع هـذا التسبیح، فقلت: علمنا. وفی روایهٔ علی بن زید، عن سـعید بن المسـیب أنّه: سـبح فی سجوده فلم یبق حوله شـجرهٔ ولا مدرهٔ إلاّ سـبّحت بتسبیحه، ففزعت من ذلک وأصـحابی. ثم قال: «یا سـعید إن الله جل جلاله لما خلق جبرئیل ألهمه هذا التسبیح فسبَّحت السـماوات ومن فیهن لتسبیحه الأعظم. وهو إسم الله جلَّ وعزَّ الأکبر. یا سعید أخبرنی أبی الحسین، عن أبیه، عن رسول الله (ص) عن جبرئیل، عن الله جلَّ جلالَه أنه قال: ما من عبد من عبادی آمن بی وصدّق بک وصلَّی فی مسجدک رکعتین علی خلاء من الناس إلاّ غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». فلم أرَ شاهداً أفضل من علی بن الحسین (ع) حیث حدثنی بهذا الحدیث. فلما أن مات شـهد جنازته البر والفاجر، وأثنی علیه الصالح والطالح، وانها لو یتبعونه حتی وضـعت الجنازهٔ فقلت: إن أدرکت الرکعتین یوماً من الـدهر فالیوم هو. ولم یبق إلاّ رجل وامرأهٔ، ثم خرجا إلی الجنازهٔ، وَثبْتُ لأصـلِّی فجاء تکبیر من السـماء فأجابه تکبیر من الأرض، وأجابه تکبیر من السماء فأجابه تکبیر من الأرض، ففزعتُ وسقطتُ علی وجهی، فکبر من فی السماء سبعاً ومن فی الأرض سبعـاً وصُـلِّی علی علی بن الحسـین صـلوات الله علیهمـا ودخل الناس المسـجد فلم أدرک الرکعتین ولا الصـلاهٔ علی علی بن الحسـین صلوات الله علیهما، فقلت: یا سـعید لو کنت أنا لم أختر إلاّ الصلاهٔ علی علی بن الحسین، إن هذا لهو الخسران المبین، فبکی سعید، ثم قال: ما أردت إلاّ الخیر لیتنی کنت صلّیت علیه، فإنه ما رؤی مثله [۵۲] .

پاورقی

[۱] نهج البلاغهٔ (المعجم المفهرس ص ۶۸).

[۲] المصدر: (ص ۷۰).

[۳] المصدر: (ص ۷۰).

[۴] بحار الأنوار: (ج ۲۷، ص ۵۷).

[۵] المصدر: (ص ۵۶).

[۶] المصدر: (ص ۵۷).

[۷] أی باب الطاعهٔ للنبی وأوصیائه المصدر: (ص ۱۸۰).

[۸] المصدر: (ص ۱۸۰).

[۹] المصدر: (ص ۲۰۱).

[۱۰] نفقت الدابهٔ ماتت (القاموس).

[۱۱] بحار الأنوار: (ص ۶۱ – ۶۳).

[۱۲] سوف نذكر بعضاً منها فى خاتمة الكتاب.

[۱۳] يعنى ارفع رجلك - أو رحلك - عن المركوب، واركب مطيتى حتى تدرك الحج.

[۱۴] قصة إبراهيم - بحار الأنوار: (۳ / ج ۳۶).

[۱۵] زبالة: اسم موضع بطريق مكة.

[۱۶] المصدر: (ص ۴۰ - ۴۱).

[۱۷] المصدر: (ص ۴۹).

[۱۸] فى رحاب أئمة أهل البيت: (ج ۳، ص ۲۳۴).

[۱۹] مفاتيح الجنان: (ص ۱۲۴).

[۲۰] بح: (ص ۵۷).

[۲۱] قصته فى المسجد الحرام مع طاووس.

[۲۲] قال له ذلك عندما همّ الطغاة رميه فى النار عبر المنجنيق.

[۲۳] المصدر: (ص ۶۷).

[۲۴] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۵۱ - ۵۳).

[۲۵] اعتمدنا فى بعض ما ذكرنا على رواية مأثورة عن الإمام الرضا (ع) فى بحار الأنوار (ج ۴۶، ص ۸) حيث ذكر ان حادثة أسر بنات يزدجرد كانت فى عهد عثمان خلافاً لبعض الروايات التى ترى أنها وقعت فى عهد عمر، وهى بعيدة عن السياق التاريخى لمجمل الأحداث كفتح خراسان وتاريخ ولادة الإمام زين العابدين وما أشبه.

[۲۶] ناسخ التواريخ: (ج ۲، ص ۱۴۰).

[۲۷] المصدر: (ص ۱۴۱).

[۲۸] عوالم العلوم: (ج ۱۸، ص ۱۷۹).

[۲۹] المصدر: (ص ۲۸۰).

[۳۰] المصدر: (ص ۱۸۲).

[۳۱] عوالم العلوم: (ج ۱۸، ص ۲۸۱).

[۳۲] المصدر: (ص ۲۸۲).

[۳۳] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۱۳۳).

[۳۴] عوالم العلوم (ج ۱۸، ص ۲۸۳).

[۳۵] فى رحاب أئمة أهل البيت: (ج ۳، ص ۱۹۶).

[۳۶] المصدر: (ص ۱۹۶).

[۳۷] المصدر: (ص ۱۹۸).

[۳۸] المصدر: (ص ۱۹۹).

[۳۹] المصدر.

[۴۰] المصدر: (ص ۲۰۹).

[۴۱] المصدر: (ص ۲۰۹).

[۴۲] المصدر.

[۴۳] ناسخ التواریخ: (ج ۲ فی حیاة الإمام زین العابدین ص ۲۴۱).

[۴۴] بحار الأنوار: (ج ۴۵، ص ۱۳۸ – ۱۳۹).

[۴۵] فی رحاب أهل البیت: (ج ۳، ص ۲۴۹).

[۴۶] فی رحاب أئمة أهل البیت: (ج ۳، ص ۲۱۶).

[۴۷] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۴۴).

[۴۸] المصدر: (ص ۴۶).

[۴۹] المصدر: (ص ۴۱).

[۵۰] المصدر: (ص ۱۵۴) نقلاً عن تذکرة الخواص: (ص ۱۸۷) (طبعة إیران) وعن تاریخ ابن عساکر.

[۵۱] المصدر: (ص ۱۵۳).

[۵۲] المصدر: (ص ۱۴۹ – ۱۵۰).

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علـَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتي" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض في القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائي/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِي الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.